سادة القافلة

5

قائدي

نفحات ملكوتية
من سيرة
مجاهدين قادة
مضوا...
خلال الحرب
المفروضة

مركز نون
للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الـــكـــتـــاب: **قائدي** (سلسلة سادة القافلة (5))
تـــدويـــن: علي أكبـر خاوري نجاد- حسـن كلشـين-هادي جمشـيديان- عباس باسـيار - رحيم مخدومي- أحمد كاوري- داود اميريان-
ترجمة وإعداد: مركز نون للتأليف والترجمة.
نـــشـــر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.
الـــطـــبـــعـــة: الأولى، كانون الثاني 2014م - 1435هـ.

سادة القافلة (5)

قائدي

نفحات ملكوتية من سيرة مجاهدين قادة مضوا ... خلال الحرب المفروضة

مركز نون للتأليف والترجمة

فهرس

مقدمة 7

خير الافتتاح 9

«يا عليّ» 11

«مدني» يبوح بحِمله 15

سأعود صبيحة عاشوراء 19

ليل الأهوار 23

خادم الزّهراء 29

مهرجان النار 47

كالوردة الحمراء 59

في السماء.. عُقد القران 67

مسيح كردستان 75

مقدمة

هـذا الكتـاب باقة من القصص القصيرة التي تحكـي نفحات من معنويـات وتضحيـات عاليـة لثلّة مـن المجاهدين فـي الجبهة، خلال الحـرب المفروضة على الجمهوريـة الإسلامية الإيرانيـة، بلغة سهلة، مشوّقـة، دوّنها عددٌ من الكتّـاب الذين شاركوا في جبهات القتال. وهي مـن القصص التـي طالعهـا القائـد الإمـام الخامنئي(حفظه الله)، وأثنـى على مؤلِّفيه، وعبّر عـن تأثّره العميق بمضامينهـا، كونها تحكي واقعـاً جهادياً ميدانياً لثلّة من المجاهدين والشهداء الذين سلكوا درب التضحية والإيثار... فكانوا خيـر أنصار لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، لذا تراهم في أعلى درجات الحيوية والمعنوية والعزيمة وهم في أصعب الظروف وأشرس سوح القتال.

من هنا يسرّنا في مركز نون للتأليف والترجمة أن نقدّم هذا الكتاب إلـى إخواننـا وأخواتنـا راجين مـن المولى العلـي القديـر أن يوفّقهم لقرائته والاستفادة من دروسه وعبره.

والحمد لله رب العالمين

مركز نون للتأليف والترجمة

خير الافتتاح[1]

«السلام عليكم يا أولياء اللّه وأحبّاءه، السلام عليكم يا أصفياء اللّه وخيرته، السلام عليكم يا أنصار دين اللّه وأعوان وليّه ...

يا آيات اللّه، يا معجزات الإيمان، يا دلائل سموّ الإنسان الخالد...

يا وردًا حمراء لم يستطع كلّ فساد العالم المعاصر وتلوّثه، أن يمنع من تفتّحها،

يا برقًا شديدًا أنار دنيانا المظلمة..

يا حجّةً دامغة على قاصري النظر، أولئك الذين يعتبرون أنّ رقيّ الإنسان الإلهيّ غير ممكن في عصر غلبة المادّة.

لقد أحييتم فينا ذكريات مسلمي صدر الإسلام، وأظهرتم الصدق والإرادة والفناء في اللّه، أكثر منهم. أولئك الذين سنحت لهم فرصة الاستفاضة المعنويّة والقلبيّة، من أنفاس النبيّ ﷺ وآيات القرآن المنزلة

---

(1) كلمة دوّنها سماحة الإمام القائد الخامنئيّ (حفظه اللّه) على حاشية الكتاب، بعد الانتهاء من مطالعته.

المتتالية. لكن ماذا عنكم؟!! لقد جسّدتم الخلوص والتقوى حقًّا، وصرتم جنودًا لائقين لذلك الإمام الذي كان بحقٍ، مظهر الخلوص والتقوى.. سلام اللّه عليه وعليكم، وهنيئًا لكم رحمة ربّكم..

كتبه بيمينه الوازّرة، أسير أمانيه وذليل نفسه، عليّ الحسينيّ غفر اللّه له ورحمه، وحشره مع أوليائه وألحقه بهذه الزمرة الطيبة. آمين.

تمّت مطالعة هذا الكتاب في الثالث عشر من رجب لسنة 1411هـ بعين مليئة بدموع الشوق وحسرة الزيارة.

الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله

«يا عليّ»

عملت تحت إمرة «**مدني**» سنة كاملة، وما زلت إلى الآن مندهشًا من أفعاله! لعمري إنّه فيلقٌ بحدّ نفسه! ولا يدري أحدنا أيضحك من عجيب أفعاله أم يبكي. كنّا لا نستطيع أن نثبت على حال في محضره: تارة نشعر بالمهابة، وأخرى نذوب عشقًا! هكذا كان يقول الأخ «**خادمي**».

ثمّ يكمل: بدنه يدلّ على أنّه «**مؤمن**»، هكذا كان يصفه إخوانه! كان مظهره يحرق القلب! جسم نحيف، عينان غائرتان في وجه برزت عظامه من شدّة الضعف. لم يكن «**مدني**» الرجل المناسب في المكان المناسب حتّى في نظر الأشخاص العاديّين، فكيف بالذين يزدادون كلّ يوم شبرًا؟! ولكنّ روح الحقيقة هي أنّ خصلةً من شعره، أثمن من وجود هؤلاء المدّعين المتكلّفين بأسره، ومن كلّ ما يملكون وما لا يملكون.

كان كلّ من يسمع اسم «**مدني**» ينتظر أن يقابل إنسانًا ضخمًا! وحينما يراه في المرّة الأولى، يظنّه ساعي البريد في الكتيبة أو عامل «**الإشارة**» فيها كحدّ أقصى. ولكن عندما يعلم أنّه قائدها، قائد تلك الكتيبة المدرّعة، يُردّد في نفسه غير مُصدّق: «**جلّ الخالق**»!

ويتابع «**خادمي**» حديثه فيقول:

في ذلك اليوم آذتنا الدبّابات العراقيّة كثيرًا. وفي النهاية، وبعد أن أطلقنا جميع الصواريخ باتّجاهها، استطعنا تدمير معظمها، وما بقي منها سالمًا، لاذ بالفرار من ساحة المعركة.

حقًّا إنّهم أعداء جبناء! كيف لا، ولو أنّهم بقوا في أرض المعركة وقاتلوا، لم نكن لنمتلك شيئًا نواجههم به! بحقّ الحسين عليه السلام لم يكن يتوفّر لدينا أيّ عتاد أو ذخيرة!

لقد سَكَنتْ خواطرنا، وشعرنا في تلك اللحظات بأنّنا نستطيع أخيرًا التقاط أنفاسنا. لكنّنا لم نكد نجلس لنستريح، حتّى أطاح انفجارٌ رهيب بنصف الساتر التّرابيّ، وعلا ركامه في الهواء! وعلى الفور هدر صوت دبّابةٍ عراقيةٍ تتحرّك خلف الساتر الترابيّ.

لم تكن تلك اللحظات لتوصف. كان صوت الدبّابة في كلّ لحظة يقترب منّا أكثر فأكثر، ولم نكن في ذلك الحين نملك أيّة طلقة للدفاع عن أنفسنا. أحسسنا بثقلها يكتم أنفاسنا، كأنّما جنزيرها يتحرّك على صدورنا ويطحنها وينتزع قلوبنا من مكانها.

لم نكن نملك طلقات أو صواريخ. ولم نكن نملك الحول والقوّة للمواجهة! وكيف لنا أن نجابه الدبّابة بالرشّاش؟ إلّا أنّه كان «**لمدني**» رأي آخر!

..«**يا عليّ**».. من جديد عاد «**مدني**» ليظهر! حمل الرشّاش وقفز فوق الساتر الترابيّ، ثمّ قال بلهجته الأذربيجانيّة الجميلة: «**أنا ذاهبٌ أيّها الإخوة**»!

- إلى أين؟!

لكنّ «**مدني**» لم يكن من أهل التوضيح والبيان. وكان على من يريد معرفة الجواب أن يسرع إلى خلف الساتر. رأيناه بعيوننا هذه يذهب، إلّا أنّنا لم نصدّق! الجميع ذُهلوا، ووثبوا فجأة كالمصعوقين بالكهرباء فوق الساتر. كان «**مدني**» يشدّ الخطى نحو الدبّابة كمن عثر على صديقه القديم بعد طول انقطاع. وكانت الدبّابة قد ثبتت في مكانها، تنتظر بشوق مثله فاتحة ذراعيها لاحتضانه.

- ... «**مدني**»! ماذا تفعل؟! هل جُننتَ!... ارجع!

ترنّح رشاشه كالمعول فوق كتف الفلاح، وهو يتقدّم بخطًى ثابتة إلى الأمام... حتّى تلك اللّحظة لم تكن الدبّابة قد تحرّكت. فجأةً، أدارت سبطانة مدفعها! ومثلما يدور رمح ليخترق قلب الإنسان، دار المدفع ليستقرّ في مقابل «**مدني**».

قبض الأخ «**رحمتي**» دون أن يشعر على حفنةٍ من التراب، وأخذ يضغط عليها دون وعي، و«**مدني**» يقترب في كلّ لحظة أكثر فأكثر...

وحده «**مدني**» وإله «**مدني**» يعلمان بأيّة نيّة وأيّة إرادة ولأيّ دافعٍ قام بما قام به!

عندما وصل إلى مسافة خطوات من الدبّابة، وقف على هيئة المظلوم مائل العنق، وحدّق مليًّا دون أن ترتفع يده وتقبض على الزناد. حقًا كان حائرًا مثلنا! بدا وكأنّه ينتظر أن تبادله الدبّابة أطراف الحديث!

كانت لحظات صعبة، ليس على «**مدني**»، بل علينا نحن. كأنّما حمّلنا على أكتافٍ مكسورةٍ وعاجزةٍ، صخرة عظيمة الثقل! أُصِبنا بألمٍ في الرؤوس ودوار شديد، وأظلمت الدنيا في عيوننا وأوحشت. هل ستكون النهاية الآن، أم بعد لحظات؟!

كان «**مدني**» صامتًا والدبّابة كذلك، وكان ساكنًا وهي كذلك! أمّا نحن فكنّا كآتون نارٍ ملتهبٍ، ننتظر بلا حيلة أن يتقطّع ويتناثر في أيّة لحظة. كانت لحظة شؤم لا فرار منها! والانتظار ألقى بظلّه المخيف والقاتل. كنّا كمن يرغب في أن يسمع ويخشى ذلك في آن، ويرغب في أن يشاهد ما سيحصل دون أن يجرؤ على ذلك... أيكون ذلك الآن أم بعد لحظات؟!

فجأة، فُتح غطاء كوّة الدبّابة، وارتفعت من داخلها يدان اثنتان متحاذيتان، ومن خلفهما بدت سبطانة رشّاش وخوذة كتب عليها: «**دخيل الخمينيّ**»!. وما هي إلّا لحظات حتّى علا «**مدني**» ظهر الدبّابة وأسر الجنديّ العراقيّ وهو يُمسك بأذنه، ويصرخ به: دُسّ على الوقود.. «**أعطِ وقودًا!**

داس الجنديّ العراقيّ على الوقود، فإذا بالغول الأسود المروّض[1] يدبّ نحونا.... ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2].

(1) الدبابة.

(2) سورة الأنفال، الآية: 18.

«مدني» يبوح بحِمله

أُحِـبّ الرجـال ذوي القامات القصيـرة وبالخصوص ذوي الهمم العاليـة. وحينما أَهيم فـي حبّهم أسعى بكلّ قوّتي إلـى مرافقتهم بأيّة وسيلة كانت!

ختـم «**خادمي**» كلامه وهـو يميل برأسه جذلًا، وتابـع قائلاً: اليوم، أسعفنـي الحـظّ بأن أكـون ساعةً من الزمـن في سيّارة «**مدنـي**» قائد الكتيبـة، وأن أرافقه إلى منطقة «**كرخه نور**». وتمثّلتْ سعادتي الأخرى بأنّنـي استطعت خـلال ذلك أن أنفذ إلـى قلبه المتألّـم، وأسمع آلامه بنفس لهجته الآذريّة الفصيحة حيث قال:

كنّـا قـد حوصرنا فـي ذلك اليـوم! كنت وحـدي ومعـي اللّٰه، ومن حولـي جثث القتلـى وهيـاكل الدبّابـات العراقيّة المحترقـة، وأجساد إخوانـي الشهـداء الذين فقدتهم قبـل لحظات. وفي الطـرف الآخر، كان العراقيّـون يقتربون، وهم يُجهـزون على جرحانا الذين يقعون في أيديهـم. جلستُ عند رؤوس الشهداء وأخذت رأس كلّ واحد منهم على حـدة. وضعته على ركبتي وقرأت لـه الفاتحة. كان قلبي ينوء بما لاقاه، وقـد أضعت «**السيّـد**» أيضًا ولم أعد أعرف شيئًا عن مصيره. لقد كان «**السيد**» المغفور له قائد العمليّات ، وكنت أنا معاونه آنذاك.

فـي تلـك اللحظات العرفانيّـة، بلغتُ مقام القرب مـن الشهداء، وشعـرتُ بأنّهـم جميعًا يكلّمونني. وكنتُ عاهدتهـم أن أكون الأسير الـذي سيحفظ دماءهم في زنازين بغداد، ويحمل رسالة كربلاء إلى الشام.

وبينما أنا أريح جثمان آخر الشهداء على التراب، شدّني الفضول إلـى أن أعلو إحدى الدبّابات التـي سقط بداخلها قتيلان عراقيّان. بـدا واضحًـا من قمرة القيـادة السالمـة أنّ كليهما قُتـلا بالسلاح الخفيـف. وباستثناء أضرار جزئيّة، لم تكن الدبّابة قد أُصيبت بأي عيب..

تنازعنـي شعور بالأمل اشتعل في قلبـي، وتعلّقت عيناي بالعراقيّين الذيـن كانوا يقتربون في كلّ لحظة أكثر فأكثـر. كان عليّ القيام بعملٍ مـا على الفور! ولكن لم أكد أنتهي من إخراج الجثّة الثانية، حتّى أسرع العراقيّون نحوي. أغلقتُ فتحة كوّة الدبّابة بسرعة، وانهمكتُ بدمٍ باردٍ بالعمـل محاولًا تشغيلها. وبشـقّ النّفس، سارت الدبّابـة نحو الطريق، وأضحـى العراقيون الآن يفـرّون منّي، وهم يطلقون النـار عليّ من كلّ صوب.

في تلك اللحظة تذكّرتُ «**السيّد**». السيّد «**مهدي اللَّجَوَرْدي**». هل يا ترى أُسر أم أنّه استُشهد؟

إن شاء الله يكون سالمًا.

كان أمامي العارض الحسّاس ـ وهو ممرٌّ ضيّقٌ أماميّ ـ إن أنا عبرته

سأنجو! ومن حظّي أنّ الدبّابة التي كنت أقودها عراقية؛ وكانت سبيلي إلى النجاة؛ فقلّة من الأشخاص كانوا سيشكّون فيها وهي تتحرّك في المكان.

كنتُ قد اقتربت من المضيق، حينما رأيتُ ثلاثة أشخاص مطروحين على الأرض، في الرّمق الأخير من الحياة. لكنّهم ما إن رأوا الدبّابة حتّى سارعوا إلى الزحف جانبًا. وفهمتُ من محاولتهم الانسحاب من أمام الدبّابة، أنّهم من عداد قوّاتنا! وفي تلك اللحظة شاهدتُ ما أثلج صدري أكثر بألف مرّة من الفرار والتحرّر. فأحد أولئك كان «**السيّد**» الذي استشهد فيما بعد، أمّا الآخران فكانا من المقاتلين المسنّين في فرقتنا. وحتّى تلك اللحظة ظنّوا أنّني عراقيّ. فتحتُ غطاء الكوّة بسرعة وأريتهم نفسي.

أثار صعودهم إلى الدبّابة شكّ العراقيين الذين كانوا عند الممرّ؛ فسدّوا الطريق. ومع تلاوة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1] وضعت قدمي على دوّاسة الوقود، واندفعتُ بالدبّابة فتهاوى السدّ الهشّ. وفي غمضة عين عبرنا، وأضحى الممر خلفنا. وما هي إلّا لحظة حتّى أُمطِرنا بقاذفات «**الآر بي جي**» من الخلف. كان الله هو الذي يحرف مسار هذه الصواريخ، ونحن نقرأ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا... ﴾.

(1) سورة يس، الآية: 9.

١ سأعود صبيحة عاشوراء

اليــوم هــو أوّل أيّام محرّم. خاط «**مدني**» قطعــة قماش سوداء فوق جيب قميصه كتب عليها «**السلام عليك يا أبا عبد الله**».

فــي تلك الأيّــام، كان «**مدني**» يركــب درّاجة نارية حمــراء، حصل عليهــا حديثًا من الجيش. بدت درّاجته كحصان عالي الظهر، وبدا هو كفارسٍ همام يعلوها. وعلى الرغم مــن أنّ الصيف كان يلفظ أنفاسه الأخيــرة، إلا أنّ شمس «**شلمجــه**»[1] المحرقة كانت لقربها من الأرض، تنسجَ قامة كلّ ظلّ على بدن الصحراء القاحلة!

صارت الوجوه سوداء، وابتلّت الثياب بالعرق من الرأس حتّى أخمصَي القدميــن. وفي كلّ موقع، ابتــدع مقاتلونا حيلة لدفع الحرّ. ربطوا قطعة مــن الخشب بحبلين متدليين مــن السقف، ثمّ ربطوا حبلًا آخر بها من الأسفــل يمكّنهم من شدّها وإرخائها، فصــار لديهم مروحة يدوية! في ذاك القيــظ عادة ما كنتُ أتجوّل بقميصي الداخليّ، لكن أمام «**مدني**» كان لــديّ حياءٌ خاصّ. كنت عند حضــوره ألبس بزّتي العسكريّة، وأُلقي السلام فأسمع ردّه، ونتبادل السؤال عن أحوال كلٍّ منّا.

---

(1) شلمجه: منطقة عمليّات في تلك الأثناء.

كان وقـت العصر قد اقترب، وفيما أنا جالس داخل الموقع، أستمع إلى الراديو الذي كان يبثّ أشعارًا عرفانيّة غزليّة:

«أيّها العاشق المجنون

أحضر لحظة إلى الخرابات

فكأسك من خمر البستان

ثمّ تعال بعدها إلى المناجاة..»

انبرى المسؤولون عن توزيع طعام العشاء، ينادون على الرجال، ولم يكـن الظلام قد حلّ بعد، والشمس تشعّ فـوق الرؤوس. فهنا يُحضرون طعام العشاء في حدود الساعة الرابعة عصرًا.

تفـرّق الإخـوة شيئًـا فشيئًا بعيدًا عـن السيّارة بعـد أخذ الطعام، وكنـت أنا آخـر من أخذ حصّتـه. هممت بالدخول إلـى الموقع، لكنّي رأيـت «**مدني**» ينعطف بدراجتـه الحمراء من منعطف «**شمـران**» آتيًا نحونا. علـى الفور وضعت الطعام جانبًـا، ورجعت لأقف على طريقه، كـي أسأله عن أحواله. كان صوت سيّارة الطعام المبتعدة، يختلط في أذنـي بصوت محـرّك درّاجة «**مدني**» التي باتت علـى مسافة قصيرة مني.

فجـأة، مـزّق الفضاء صوتٌ مـدوٍّ لقذيفـة هـاون! دار رأسي وحار فكـري، فالإنفجـار شديد. على الفـور انتشر الدخـان ورائحة البارود داخـل الموقـع. أنصتّ خائفًا؛ كـي أتعرّف إلى صاحـب الصرخة. كم هـي زاجرة! إنّها صرخة «**مدني**»! ولعلّها صرخة لم تخرج من حنجرته

يومًا، بسبب عنفوانه ووقاره. صرخة ما أسرع ما نجد معناها الحقيقيّ «يا أبا الفضل... يا أبا الفضل...»

وصلتُ إليه قبل الآخرين، وعاينته وسط التراب والغبار. كانت الدرّاجة قد سقطت على قدميه وهو ما زال ينادي. ارتبكت... حملته من تحت إبطيه حتّى أخرجه من تحت الدرّاجة، لكن... ذهلت لما رأيت، فقدمه اليسرى المعلّقة فقط بالجلد الدقيق، كانت قد بقيت تحت الدرّاجة، بينما خزّانها المثقوب ينصبّ منه الوقود كالميزاب على جروحه.

رفعتُ الدراجة عن قدم «**مدني**» بسرعة، وسحبته شيئًا فشيئًا إلى أمام الموقع. كانت رجله المعلّقة تُسحب خلفنا على الأرض. في هذه اللحظة وصل الإخوة، وتعاونوا على ربط رجله من فوق الركبة. وضعنا «**مدني**» داخل سيّارة الإسعاف، لكن كلامه الأخير ألهب مشاعري من جديد: «**سأعود بعد عشرة أيّام!**».

اليوم هو يوم عاشوراء، وقلبي حزين لأجل «**مدني**». قالوا إنّه سيأتي في هذا اليوم، لكنّ أحدًا لم يكن ليُصدّق ذلك، إلى أن رأوه في النهاية بأعينهـم، يخطّ الأرض فوق صحراء «**شلمجه**» بقدمٍ واحدة وعكّازين، ويمضي دون أن يقبل مساعدة من أحد، نحو خنادق الخطّ الأماميّ.

ليل الأهوار

١

تحكي هذه السطور عن صلابة السيّد «**علي رضا القوام**»، مساعد قائد كتيبة «**نوح**» في الفيلق الحادي والعشرين، فيلق «**الإمام الرضا عليه السلام**» ... ذكريات عظيمة ومهيبة أشبه بالخيال منها بالواقع... أكتبها فقط لمن يؤمنون بإيمانه!

كانت المرّة الأولى التي رأيتُ فيها «**علي رضا**»، قبل عشرين يومًا، في المسجد الجامع لمنطقة «**كاشمر**»[1]، حيث اجتمعنا مع الإخوة بعد عمليّات «**كربلاء 4**» لتحليل ما جرى. دخل «**علي رضا**» إلى ذلك المكان، فتحلّق حوله معظم الإخوة ممّن عرفوه. كان شابًّا طويل القامة، وآثار الجبهة ما زالت على ثيابه، ويمكن جمع حفنة من رمل الجنوب[2] من على بنطاله العسكريّ. صافح الإخوة فردًا فردًا، ونادى واقفًا وهو على نفس تلك الأهبّة: «**من سيأتي؟**»

لم يكن قد مضى على رجوعنا من عمليّات «**كربلاء 4**» أكثر من يومين، فإذ بنا نشدّ الرحال نحو «**شلمجه**» بدعوة من «**علي رضا**».

(1) كاشمر: مدينة صغيرة، في محافظة خراسان، تقع جنوب نيسابور.

(2) هي منطقة الحرب المفروضة أيام الهجوم العراقي الغاشم على الجمهورية الإسلاميّة.

جلسنا في إحدى مقصورات القطار الذي كان يقلّنا. طريق السفر ليلًا أتـاح لنـا التأمّل في شخصيّة هذا القائد الذي كانـت كلّ صفة من صفاته تبعث على الإعجاب: التواضع، الوقار، الرحمة، حسن الخُلُق، طيب الكلام، مجموعة من الخصال الحميدة والجذّابة زادت من تعلّقي به.

كان برأسه الملتصق بزجـاج النافذة، يرقب السهل الممتّد أمامه، فيمـا تسمّـر نظري على مشاهد النـور والظلمة المترائيـة فوق السهل يعكسهـا ضيـاء القمـر المستلقي فوقـه. انشغـل بقيّة الإخـوة بتبادل أطـراف الحديث. وبينما كنت أديـر وجهي، لمحت «**علـي رضا**» ينظر نحوي، وجرى حديث بيننا:

- «**يا لليل هذا الوادي!**»، قال «**علي رضا**».
- «**منير بنور القمر!**»، أجبته.
- «**أيمتاز بشيءٍ آخر؟**»
- «**السكون**».
- «**أمِن شيء آخر؟**»
- «أحقًا تقصد ما تسأل عنه؟»

أجاب ضاحكًا : ماذا أفعل، هي عادة عندي!

فقد كان «**علي رضا**» معلّمًا في قرية «**حاجي آباد**» في منطقة «**كاشمر**».

أسـدل الليـل ستـاره، وعـمّ الأهـوار[1] صمـت ثقيل. كنـتُ أحرّك المجداف بهدوء على سطح الماء، والقارب ينساب على صفحة النهر، يشـقّ عبابه نحو الأمـام. وقف «**علي رضا**» خلفي علـى سطح القارب، ونظـر إلى الجهة المحاذية... كنت أعلم أنّه يلتهب حماسًا، وأعرف ما الذي يدور في فكره، وفي أذهان جميع الأخوة في كتيبة «**نوح**».

غدًا ليلة العمليّات، عمليّات «**كربلاء 5**»..

ارتجف قلبـي وأنا أفكّر بما سيحدث في الغد. وفي داخلي المرهف اختلـج شعور مشوّق وجميل، احتلّ تفكيـري بالكامل. ومن تلك اللحظة كان مشهد الغد يتراءى أمامي، حيث ينتظر شروق الشمس ليتحقّق.

«**أخفِض رأسك!**»

تمدّدتُ على سطح القارب فور صدور الأمر من «**عليّ رضا**». تبلّل خدّي وسَرَت إليه البرودة. تسرّب عبق «**الأهوار**» إلى مشامّي، وكأنّي أتحسّس جـذوع القصب الخضـراء. أخذتُ نفسًا عميقًـا وأغمضتُ عينيّ لحظة، وفجأة، بهر عينـيّ، ومن خلف جفوني المغمضة، بريقٌ لامـع. قنبلة مضيئة أحرقت الظلمة فوق رؤوسنا! وبعد عدّة لحظات، تابـع القـارب انسيابـه مخترقًا سكـون «**الأهـوار**»، وتابعـتُ تحريك المجداف بهدوء، و«**علي رضا**» في صمته يُحدّق إلى الجهة المحاذية بهيام.

(1) منطقة في جنوب إيران في محافظة خوزستان.

كان النسيــم يهبّ فيلفح وجهــي ببرودته ورائحتــه العفنة. وتناهى إلــى أسماعنا صوت نغمات متقطّعــة تصاعدتْ من بين أعواد القصب المتراقصــ على نفحــات ذلك النسيم. كان نظــري مسمّرًا على «**عليّ رضــا**» طيلــة الوقت. فجأة، التفت بوجهه إلى الــوراء. بحثتُ عن عينيه فــي الظلمة. هزّ رأسه مشيــرًا إليّ، فحوّلتُ مجــرى القارب إلى جانب الشاطئ. لقد وصلنا إلى الخط الأماميّ للجبهة.

«**سأتفحّص خطّ الجبهة وأعود سريعًا!**»

قفز من القارب، وانسلّ بهدوء وخفّة بين القصب.

❦❦❦

تسلّــل صقيــع ليــل الأهوار إلــيّ من فــوق لباس الغوص الذي كنت أرتديــه، وسلبنــي كلّ أفــكاري. رحتُ أفــرك يديّ إحداهمــا بالأخرى، وأمرّرهما فوق وجهي فــي الوقت الذي ركّزتُ نظري على المسار الذي سلكه «**علي رضا**»، بانتظار عودته.

كانــت الريــح تراقص جــذوع القصب، فتبعــثُ أشكالهــا الموهمة الاضطــراب في نفسي. وقفتُ ونظرتُ إلى خــطّ الجبهة. وفجأة، ألقى صــوت انفجــار ضعيف بثقلــه على سطح القــارب. خفق قلبــي بشدّة، واستسلمتُ لهذا الثقل الذي سحق كلّ وجودي تحته.

- لا يكوننّ «**علي رضا..؟**»

تقــاذف الاضطــراب والوهم روحي. وعدتُ مجــدّدًا إلى الانتظار.. مــا كان صــوت الانفجــار ذاك؟ إن كان «**علــي رضــا**» قد جــرح، فكيف

سأسحبه؟.. وماذا عن عمليّات الغد؟

نهضتُ ونزلتُ من القارب، وبدأتُ أسير مشغولًا بالإجابة عن الأسئلة التي تلاحقت في ذهني. وتوغّلتُ في المسير. وصلتُ إلى خط الجبهة. بدأت أتنفّس ببطء. عبرت من بين الأسلاك الشائكة، وعلى مسافة قليلة، رأيتُ «**علي رضا**» كالظلّ، جالسًا يحدّق بالمنظار إلى الطرف المقابل. تقدّمتُ إلى الأمام بضع خطوات نحوه، وقلتُ بصوت مكتوم:

- «**عليّ...**»

دعاني إليه بإشارةٍ من يده. وصلتُ إليه بقفزةٍ واحدة، ووضعتُ أذني بالقرب من فمه.

- «**سوف أبقى هنا حتّى مساء الغد. ليبدأ الإخوة تحرّكهم من نفس هذا المكان، اذهب!**»

رجعتُ بسرعة. لم أقل حتّى كلمة واحدة. كنت أعلم أنّه يقوم بما عليه بنجاح على الدوام.

منــذ الأمس وحتّى هذه الليلة، بَلَغَت روحي الحلقوم.. اجتزتُ الممرّ أسرع من الجميع، حتّى أصل إليه.

- هه.. هناك! أشرتُ بيدي نحوه. ركضتُ مستعجلًا كي أبلغه.
- «**علي لقد جئنا... علي!**»

لكنّــي تجمّدت فــي مكاني فجأة، ورحــتُ أحدّق في الظـلّ الجالس أمامــي! كانــت رجلاه قــد قطعتا مــن الركبتيــن، ويداه كمثــل وتدين محكميــن أبقتــا على وضعيّة جلوســه! إنّه ذلك الانفجــار، رفع صورته الملكوتية نحو بارئها...

آه، يا لليل هذا الهور!

خادم الزّهراء

كنـت قـد استلقيتُ علـى سرير أشاهـد الأخبار عبـر التلفاز. وفي سياق تمجيد بطـولات المجاهدين، أعلن المذيع عن خبر تحرير جزر «**بواريـن**»، فغمرت وجوه جميـع الإخوة علامات السـرور والطمأنينة، وصاح أحد الجرحى بعنفوان: «**لسلامة مجاهدي الإسلام صلوات...**»

ملأ فضـاء الغرفة صوت الصلـوات العذب. غمرتنـي السعادة في تلـك اللحظة، وتمنّيت أن أتعافى؛ لأعاود الالتحاق بالإخوة في الكتيبة. كنـت في كتيبة «**ميثم**» عندما أُصِبتُ بشظيّة في الأمعاء خلال عمليّات «**كربـلاء 5**». ومن ثـمّ نُقلت إلى هذه المستشفى للعلاج، كان ذلك قبل أيّام عدّة.

كان البُعـد عن الإخوة من جهة، وجراحـي البالغة من جهة أخرى، يؤذيانـي بشـدّة؛ وكنت حتى يومنا هـذا، قد أُخضِعتُ لثـلاث عمليّات جراحيّة، والعمليّة الرابعة في انتظاري!

في هذا الوقت، دخل جلال - أحد أصدقائي الأوفياء - إلى الغرفة. كان ساعـي بريد كتيبة «**مالك الأشتر**» من الفيلـق السابع والعشرين، فيلـق محمّـد رسـول الله ﷺ، وقد أصابتـه رصاصة فـي وجهه جعلته طريح فراش المرض.

كان جلال شابًّا ذا قلبٍ حيٍّ يمنح المعنويّات للإخوة دائمًا؛ عندما رأيتُه، استويتُ في فراشي قليلًا وسلّمتُ عليه. قبّل جلال جبهتي وقال:

«**لك سلامي الخالص. كيف حالك؟**»

قلت: «**هه، ما زلت أتنفّس! ما الأخبار؟**».

نظر إليّ بحنان وقال: «**عندي لك خبرٌ مهمّ. أعطني أجري حتّى أتكلّم**».

قلت: «**حاضر يا أخي، أجرك في الثلّاجة، أَحضِر كمبوت الكرز [علبة الكرز] وقل الخبر**».

قال: «**لقد أحضروا توًّا أحد الإخوة من كتيبة «ميثم»**» وعندما ذكرتُ له اسمك، عرفك على الفور. قم واقعد على الكرسيّ النقّال حتّى آخذك إليه».

كانت يدي ومعدتي متصلتين بأنبوب المصل وأنابيب أخرى، فلم أكن أستطيع السير، لكنّي نزلت عن السرير بمساعدة جلال - وأنا لا أعرف لشدّة سروري، رأسي من قدمي- وجلست على الكرسيّ النّقال... دخلنا الممرّ، وبعد لحظات كنّا في الغرفة رقم 12. تفحّصتُ بنظرة سريعة وبوَلَعٍ خاصّ، الوجوه المغبّرة للجرحى، الذين وصلوا حديثًا من الجبهة. وفجأة توقّفتْ عيناي عن الحركة، بلى! إنّه هو بعينه، «**مهدي**»، أحد الإخوة في حظيرة إسناد[1] كتيبة «**ميثم**»، والذي كان يعمل على مدفع هاون من عيار 60 ميليمترًا. شعرتُ بفرحةٍ من

(1) تسمية عسكريّة لمجموعة قتاليّة تعمل على أحد أنواع المدفعيّة والصواريخ.

مَلَكَ الدنيا بأسرها. ساعَدَني جلال على الاقتراب.

كان «**مهدي**» يتأمّلني غير مصدّق بأنّني ما زلت حيًّا. تَوَكَّأ على رجله السليمة، وسحب نفسه نحو الأمام. سلّمنا أحدنا على الآخر وتعانقنا والدموع تملأ عيوننا. ظلّ مهدي ساكتًا برهةً، يُقبّل وجهي كلّ حين، ثمّ ابتدأني بقوله: «**أَفَرَرْتَ من عزرائيل مرّة أخرى؟**»

قلتُ باضطراب وأنا أتنفّس بشكل متقطّع: «**ماذا أفعل؟ الباذنجان المرّ لا تصيبه الآفّة**»، فارتسمت ابتسامة على شفاهنا نحن الثلاثة. وبعد السؤال عن الأحوال، سألتُ مستقصيًا:

- «**بحقٍّ، كيف أحوال الإخوة؟ كيف حال الحاجّ حسين؟**[1] **هل هو بخير؟**»

طأطأ مهدي رأسه. بدا كمن أُلقي عليه ماء بارد. تغيّرت معالم وجهه وبقي ساكتًا. تسرّب الشكّ إلى نفسي، سألتُ ثانيةً متضرّعًا: «**قل بالله عليك، ما الذي حصل؟ لا تقلق لجروحي. صدّقني، أستطيع التحمّل. إن كان لديك خبر، قله لي!**»

استجاب لتضرّعي، ورفع رأسه. انحدرت قطرات الدمع على خدّيه، وسالت على الأرض. كان متردّدًا؛ لكنّه مسح دموعه وقال: «**لقد تخلّفنا عن قافلة الشهداء من جديد...** «**تقي زكائي**»، «**بابائي**»، «**مجتبى برات**»، وآخرون من الإخوة في الفصيل الثالث من سريّة نينوى استشهدوا ليلة أمس الأوّل. الحاجّ حسين، أيضًا...»

(1) الحاجّ حسين طاهري، نائب قائد كتيبة «ميثم»، وسيأتي الكلام عنه بعد عدّة صفحات.

كانت شفتاه ترتجفان ولم يكن يستطيع أن يُكمل كلامه. شددتُ على يده وحدّقتُ في وجهه بنظرات ملؤها الأمل والشوق وقلت له:

«**أوَكُنّا غرباء عن بعض داخل الكتيبة؟! لم يبقَ كلام لم نقله لبعضنا البعض، فما بالك الآن؟ لم لا تريحني؟**».

هزّ مهدي رأسه مؤيّدًا كلامي، وتأوّه ثمّ قال: «**لقد وصل الحاجّ حسين أيضًا إلى أمنيته... قَبِلته الزهراء عليها السلام لخدمتها**».

لم أستطع أن أُصدِّق. هل رحل فعلًا مساعد قائد كتيبتنا، الحاجّ المظلوم حسين؟! تبدّل حالي على الفور وأحسستُ أنّ الغرفة تدور بي... عندما استعدتُ وعيي وجدتُ جلالًا يضعني على السرير بمساعدة الممرّض. كان بدني يرتجف. وانهمرت دموعي ثانية عندما استرجعت ذكرى ما قد سمعته توًّا.

تأثّر جلال لحالي، فقال مواسيًا:

«**لا تفقد معنويّاتك، أعلم أيّ أمنية لديك.. إن شاء الله نحقّق نحن الاثنان أمنيتنا**».

كانت نظرة جلال الصامتة والرؤوفة تحتضنني. رجعتُ إلى نفسي، وسرحتُ في صورة الإمام المعلّقة على الحائط، واستسلمتُ شيئًا فشيئًا لذكرياتٍ قديمة:

.... كنّا قد أُرسلنا في عمليّات «**كربلاء 5**». حينما وصلنا إلى معسكر «**دوكوهه**»[1] (معسكر الجبلين)، أخذونا إلى حسينيّة «**الحاجّ همّت**» داخل المعسكر. كان طقس شهر «**شهريور**»[2] حارًّا ومحرقًا، وجميع الإخوة يتصبّبون عرقًا. كان الجوّ داخل الحسينية خانقًا يحبس الأنفاس في الصدور. لم يكن هذا الأمر جديدًا بالنسبة إليّ؛ لأنّها المرّة الثانية التي آتي فيها إلى منطقة الجنوب.

في الدفعة الماضية، كنت «**ساعي بريد**» لقسم الاهتمام بأجساد الشهداء داخل الفيلق، ونلت سعادة المشاركة في عمليّات تحرير مدينة «**مهران**»[3] خلال عمليّات «**كربلاء1**».

قضينا عدّة ساعات داخل الحسينيّة دون القيام بعمل محدّد. استلقى بعض الإخوة بقمصانهم الداخليّة، بلّلوا كوفيّاتهم ومناديل اليد، ووضعوها على وجوههم ليتّقوا- ولو دقائق- حرارة الجنوب المُجهِدة. خرجتُ من الحسينيّة وتوجّهتُ نحو ميدان المراسم الصباحية؛ لكي

(1) معسكرٌ مشهورٌ جدًّا في المناطق الحدوديّة الجنوبيّة، وكان مقرًّا لمجموعة ألوية للحرس الثوريّ ومنه انطلقت عشرات العمليّات الواسعة وعشرات الآلاف من المجاهدين إلى الجبهات الأماميّة، وخرج الآلاف من الشهداء، من بينهم أشهر القادة العسكريّين. كُتب عنهم الكثير من القصص والذكريات، وهو يُعدّ الآن من المعالم الجهاديّة والمعنويّة التي تحجّ إليها يوميًّا جموع غفيرة من الطلاب والسيّاح وعاشقي طريق الشهداء العظام..

(2) شهر من أشهر السنة الشمسية الإيرانية.

(3) مدينة حدودية، حصلت فيها معارك ضارية وكانت محور عمليّات استراتيجيّة.

أستعيـد الذكريات الماضية. كانت غرفـة القسم المذكور تقع بالقرب مـن مكان تجمّـع المجاهدين. بعد تبـادل الحديث مع الإخـوة وتناول الغـداء، صلّيتُ وعـدتُ ثانية إلى الحسينيّة. فـي طريقي إليها لاحظتُ خفـوت صوت الإخـوة، تعجّبت وأسرعـتُ إلى الداخل فرأيـتُ الجميع جالسيـن في صفوف منتظمة، وهم ينظرون إلى الأمام. خلعتُ حذائي العسكـريّ بسرعـة وجلستُ في الصف الأوّل. سألـتُ الأخ الذي يجلس بجواري: «**ما الذي يحدث يا أخي؟**»، قال: «**لا شيء! جاؤوا من عديد الفرقة وهم يقومون بتوزيع القوّات**».

حبسـتُ أنفاسـي ولبثـتُ منتظرًا. تناقص عدد الإخـوة تدريجيًا. وعندما بقـي قرابة 350 إلى 400 مجاهد، قـال الأخ الذي كان ينادي علـى الأسمـاء: «**الذين لم يُنـادَ على أسمائهـم، سيكونـون أفرادًا في كتيبة «ميثمّ»** حديثة التأسيس. لطفًا، فليبقوا في أماكنهم حتّى يحضر ممثّل الكتيبة، ويأخذهم إلى المكان المحدّد»، ثمّ خرج من الحسينيّة.

بذهابه بدأ الكلام. كان الجميع يتحدّثون ووجوههم مليئة بعلامات الاستفهـام. سألتُ الشخص الذي جاورني: «**عفوًا يـا أخي، لأيّ فرقة تتبـع كتيبة «ميثمّ»** ؟!. لكنّه كان مثلي يجهل الجواب. بعد عدّة دقائق، دخـل إلـى الحسينيّة رجـل حسـن الطلعة، ومشـى بوقار خاصّ نحو الصفوف الأماميّة، ثمّ توقّف. كان طويل القامة، مربوعًا، يرتدي الزيّ العسكـريّ، وكان ينظر إلى الإخوة الذين أُخـذوا بالنور الذي كان يشعّ مـن عينيـه. بعد قليل سلّم علينـا، فرددنا السلام جميعًـا. وبينما كان

يُخـرِج ورقــة قال: «**أيّها الإخوة ! مـن المؤكّد أنّكم أُبلغتم بوجوب أن تخدموا الإسلام في كتيبة «ميثمّ»**. أنا العبد الحقير، أحد خدّام هذه الكتيبــة أيضًا. قد جئتُ لكي أكون في خدمتكم إن شاء الله. أتمنّى لكم جميعًا الصحّة والسلامة، وأسألكم أن تحافظوا على الهدوء حتّى أقرأ أسمــاء الإخوة. وليتوجّه الذين ترد أسماؤهــم بنداء « **شهيد**» إلى تلك الناحيــة وليجلسوا بانتظــام... محمّد أوسطي، رضــا شعباني، محمّد حسن مبهوت، محمّد حسين مبهوت....».

كان اسمــي مــن بين الأسماء التي نادى عليهــا. وبعد عدّة دقائق مــن التأمّــل رحّــب بنا مــن جديد، وعــرّف عن نفســه قائــلًا: «**أيّها الإخـوة ! أنـا هذا الحقير المليء بالتقصير من رأسه حتّى أخمص قدميــه، اسمــي «حسين طاهري»**. سأكــون إن شاء الله في خدمتكم في عــداد كتيبة «**ميثـمّ**». واقعًا، لم يكتمل بعد إعــداد محلّ إقامتنا، وإلى أن يصبح جاهزًا، سنقيم بشكل مؤقّت في المكان المُعَدّ لكتيبة «**سلمـان**». والآن، ليحمــل الإخوة أغراضهم، وليأتــوا خلفي بالصفّ مراعين الانضباط.

كان هذا أوّل لقاءٍ لنا مع «**الحاجّ حسين**». كان يتولّى مسؤولية نائب قائــد الكتيبــة. كنّا نلقّبه بالحاجّ، رغم أنّه لــم يذهب إلى الحجّ، وذلك بسبــب المحبّة الكبيرة التي كنّا نُكنّها له. كانت أخلاق «**الحاجّ حسين**» وطريقــة معاملته للآخرين تأسر القلوب وتجعل الجميع عشّاقًا له، ولم يكن أحد يتردّد في تنفيذ أيّ من أوامره مهما بلغت صعوبة الأمر.

بعد عدّة أيّام على وجودنا داخل المعسكر، جاء «**الحاجّ حسين**» و«**الحاجّ أبو الفضل كاظمي**» قائد الكتيبة لحضور المراسم الصباحيّة. ولمّا كان «**الحاجّ كاظمي**» من الجرحى، لم يكن يستطيع المشاركة كلّ صباح في المراسم. كان يقول دومًا، وقبل بدء العمليّات، أنّه هو القائد، ولكن حينما تدور رحى العمليّات فالقائد هو «**الحاجّ حسين**». وبعد تلاوة القرآن وقراءة الدعاء، وقف «**الحاجّ أبو الفضل**» خلف المنبر، وقال بعد المقدّمات:

«**أيّها الإخوة! أحمل لكم خبرًا سارًّا، الليلة الماضية، حينما كنّا في جلسة للقادة، علمنا أنّ القرار قد اتُّخذ بأن تتوجّه كتيبتنا في مهمّة دفاعيّة إلى منطقة مهران**».

ارتفعت أصوات تكبير الإخوة وصلواتهم. وطلب «**الحاجّ أبو الفضل**»، في تتمّة كلمته، من الإخوة أن يتحضّروا للتوجّه، خلال يومين، إلى منطقة «**مهران**».

أمضينا اليومين في نقل أغراضنا، بمساعدة قسم الاهتمام بأجساد الشهداء داخل الفرقة. وأخيرًا، انتهى الانتظار وتوجّهنا نحو المنطقة.

أُتيح لنا، في هذه المهمة، التعرّف إلى «**الحاجّ حسين**» عن قرب. فهو لم يسترح حتّى الصباح، وقام بنشر كلّ الكتيبة في الأمكنة والمتاريس المحدّدة. كان يجدّ أكثر من الجميع.

أذكر أنّه في إحدى المرّات لم يصل الماء والطعام إلى القوّات، ووقعنا في ضيق شديد. وعلى الرغم من أنّ «**الحاجّ حسينًا**» كان متعبًا

جدًّا، ركب بنفسه إحدى السيارات العسكريّة وذهب في طلب التموين. ولـم تكن الشمس قد غربت بعد، حتّى وصل الحاجّ ومعه عدّة قدور من الطعام وكمية كبيرة من الخبز وخلفه سيّارة تنقل الماء.

لـم يكن أحد يكدح كالحـاجّ حسين. كان قليلًا ما ينام، يمضي ليله متفحّصًا متاريس الإخوة ومواقـع الكمائن. كان يستريح مدّة ساعة أو ساعتين، ثـمّ يستيقظ عند الخامسة أو السادسـة صباحًا ويقوم بنقل الإخوة المضطرّين للاستحمام إلى خلف خطوط الجبهة ويرجع ثانية.

كان يمضـي النهـارات في الحراسـة والليالي في الكمائـن، إلى أن حلّـت أيّام محـرّم . أقمنا المجالس طيلة يوم عاشـوراء. أمسك بعض الإخوة في ذلك الطقس الحارّ والمحرق عن الطعام، ولم يشربوا الماء حتّى يواسوا الإمام الحسين (عليه السلام) في عطشه. وبعد عدّة أيّام، أخلينا المكان لكتيبة أخرى وعدنا أدراجنا إلى معسكر «**دوكوهه**».

استطـاع الإخـوة فـي جهـاز الخدمـات اللوجستيّة التابـع للفرقة، وبجهـد كبير، أن يكملوا بناء مقرّ الكتيبة. وبعد رجوعنا، وقبل أن نُنقل إلى مـكان جديد، ذهبنا في إجازة لعدّة أيّـام، بحسب النظام المتّبع. وبعد ذلك بدأنا دورة تدريبيّة جديدة. كان «**الحاجّ حسين**» أحد الإخوة الذين قاموا بتدريبنا. فيما بعد، علمنا أنّه كان المسؤول العام عن علم التكتيكات الحربية في كلّ معسكر الإمام الحسين عليه السلام؛ ولقّب بخليفة الشهيـد «**ميثـمّ**»؛ وهو الشهيد الـذي امتلك شهرة خاصّـة بين الإخوة بسبب حزمه ورأفته. كان «**الحاجّ حسين**» يجعلنا نركض أحيانًا إلى أن

نسقط على الأرض من شدّة التعب. ثمّ يأمرنا على الفور بالزحف وبعد ذلك بالتدحرج. بالطبع، كان يشاركنا جميع هذه الأعمال، بل وكان أسرع منّا. فلو أمرنا بخلع أحذيتنا لنركض على الحجارة والأشواك، كان يخلع حذاءه العسكريّ قبل الجميع. وعندما كان أحد الإخوة يُخطئ ويقتضي الأمر أن يُعاقَب، كان ينفّذ العقوبات جنبًا إلى جنب مع الأخ المعاقَب.

أوجد هذا السلوك علاقة حميمة وخاصّة بينه وبين الإخوة. كان يعرف أسماءنا فردًا فردًا، وصار صديقًا للجميع. كان من موقعه يمزح مع جميع الإخوة، وكان رحيمًا جدًّا.

شارك في مسابقات كرة القدم وكرة المضرب والركض، مثل البقيّة، وعند اللزوم كان يظهر بمظهر الشخص الجدّيّ والرّزين جدًّا. كان للحاجّ حسين تعلّق خاصّ بالزهراء عليها السلام، وكان يعتبر نفسه خادمًا لها عليها السلام، وما إن كان يسمع باسمها الشريف حتّى تغرورق عيناه بالدموع. وكلّما ناح قارئ العزاء **رضا بور أحمد** في رثائها، كان الحاجّ يذهل عن نفسه وتحلّق روحه، ويحترق قلبه بالأنين والدموع.

وكان شديد التعلّق والعشق لسماحة الإمام الخمينيّ قدس سره، وكان يلحّ على الإخوة في مجالس العزاء والدعاء، أن يكثروا من الدعاء لنجم جماران المنير.

كان شديد التواضع. يحمل المكنسة وينظّف الغرف، وإن وجد وعاءً متّسخًا قد تُرك في مكان ما، كان يغسله على الفور ويعطيه للإخوة

فـي الوحدة اللوجستيّة. مثّل القدوة لجميع الأخوة، فأحبّوه. في صلوات الجماعة، كان يقف دائمًا في آخر صفّ. لم يكن يومًا يعتبر نفسه أرفع من الآخرين.

كنّـا قد نصبنـا الخيام في «**مخيـم كرخه**» لإجـراء دورة تدريبيّة، و«**الحـاجّ حسيـن**» معنا. في إحـدى الليالي، استيقظنا مـن النوم على صـوت انفجارٍ مدوٍّ. أسرعتُ إلى خارج الخيمة لأرى ما الخبر. لم تكن رمايـات القذائف ولا أصداء الانفجارات تنقطع لحظة واحدة. وعندما لـم أجد حذائي العسكريّ، ركضتُ حافـي القدمين؛ لأجد ملجأ؛ رأيتُ «**الحاجّ حسينًا**» مشغولًا بتوجيه الإخوة، فركضتُ مسرعًا نحوه وصحت: «**إلى أين أذهب يا حاجّ؟**».

قال: «**اركض واذهـب إلى ميدان المراسـم الصباحيّة...**». عندما وصلـتُ إلى هنـاك كان الإخوة مجتمعيـن. انقَطَعَت الأصـوات فجأة. كانـت ليلـة مخيفة. وبعـد عدّة لحظـات، جاء «**الحـاجّ حسيـن**» وقال: «**عافاكـم الله أيّهـا الإخـوة!**» لم يجبه أحد لعلمنا أنّه لا يجب التكلّم في الليـل. وبابتسامة قال الحاجّ : «**نعتذر عـن الإزعاج، ولكن كنّا نريد أن نختبـر جهوزيّتكـم. الآن، فليقـف الأخـوة الذين ينقصهـم شيء من التجهيزات في تلك الناحية**».

تحركـتُ أنا وعدد من الإخوة الآخرين إلى حيـث أشار. أذِن الحاجّ لبقيّة الإخوة بالانصراف، ثمّ توجّه نحونا. أحنينا الرؤوس جميعًا. كان نور القمر قد أضاء الأرض. رَمَقَنا «**الحاجّ حسين**» بنظرة ثمّ قال: «**أيّها**

الإخـوة ! كمـا كنتُ قد قلـت، يجب أن تكونـوا مستعدّيـن دائمًا. هذه المنطقة منطقة محميّة، لكن لا أمن بتاتًا لناحية الجهة الأماميّة. فماذا أفعل بكم الآن وقد خالفتم النظام؟»

لم نُجِـب. انحنى «**الحـاجّ حسين**» وخلع حـذاءه العسكريّ، ففهمنا قصده وخلع الإخوة أحذيتهم. أمّا أنا فقد كنت حافيًا منذ البداية. رصّ الحاجّ الجميع في صفٍّ واحـد وأعطى الأمر بالتحرّك. كانت الأشواك والحجـارة الصغيـرة تنغرس في أقدامنا، وتجعـل السير على الطريق صعبًـا، لكن قدميّ الحـاجّ كانتا من الفولاذ. لم تظهر على ملامحه أيّ علامات انزعاج أو تألّم، وهو يسير معنا جنبًا إلى جنب.

رجعنا إلى محيط الكتيبة بعد أن قطعنا مسافة ونحن حفاة. ذهبنا إلى المخيّـم متعبين ومنهكين وعُرجُ الأرجل؛ كي نستريح. لم يكن في قلبي أيّ شعور بالاستياء من «**الحاجّ حسين**»، بل كنت آسفًا نادمًا لعدم انضباطي.

صبيحـة اليوم التالي، رأينـا «**الحاجّ حسين**» فـي ساحة المراسم، يعطس بشكل متواصل. سألتُ الأخ دهقان مسؤول الفصيل عن السبب. ضحـك وقـال: «**ليلة أمس، وعلى إثـر الموجـة الإنفجاريّـة، تمزّقت خيمـة القـادة، فنامـوا حتّـى الصباح في بـرد العراء بغطـاء واحد!**». أنـا أيضًا غلبتني ضحكتي، وشعـرت بالخجل بعدها. ضحكتُ من سوء حظّهم، وخجلتُ من أنّ قادتنا كانوا يعانون أكثر منّا.

كانـت الأيّام تمرّ، وكنّـا نزيد من جهوزيّتنـا الجسمانيّة والمعنويّة. كان التعـارف يزداد بيـن الإخوة في الكتيبة مع الوقـت، وكذلك الألفة

والمحبّة. وفي كلّ يوم، كان عدّة إخوة يعقدون فيما بينهم عقد الأخوّة، وكان الكثيـر منهم يمدّدون فترة مأموريتهم ويبقـون في الكتيبة لشدّة محبّتهم لإخوانهم.

سَرَتْ في أواخر شهر «آذر»[1] شائعة بين الإخوة حول احتمال القيام بعمليّـات ما، واستمرّت إلـى أن أخبر «**الحاجّ حسيـن**» الإخوة في أحد الصباحـات بالخبر اليقين، وطلب من الجميـع الاستعداد للتوجّه إلى الخط الثاني للجبهة. وبالطبع، كان فيلق محمّد رسول اللهﷺ قد تهيّأ أيضًا، واكتمل عديد كتيبتنا.

لـم يكن الليل قـد حلّ عندمـا انتهينا مـن جمع الخيـام، وتوجّهنا علـى الفور نحو المنطقـة بواسطة حافلات النقـل. وصلنا صباحًا إلى مقصدنا، ونزلنا في منطقة «**بهمنشير**». كان الطقس ماطرًا، استطعنا المشي ولكن بصعوبة. انهمك «**الحاجّ حسين**» في مساعدة الإخوة على نقل الخيام والتجهيزات، وقـد غطّى الطين وجهه ورأسه ولباسه. كان العرق يسيل من جبينه، لكنّه لم يكن يأتي على ذكر تعبه.

فـي الليلة التاليـة أحضروا خريطة العمليّـات، وأعطوا التوجيهات اللازمة بنـاءً عليها. في تلك الليلة، أخذنا تموينـنـا الغذائيّ والحربيّ وكنّـا نعـدّ الدقائق حتّى الصبـاح، موعد البدء بالعمليّـات التي بدأت فعليًّا الليلة السابقة تحت اسم «**كربلاء4**» وبالنداء المقدّس «**يا رسول الله**».

(1) الموافق لشهر كانون الأول الميلادي.

وفـي الصباح، حضـر «**الحـاجّ حسين**» عنـد الإخوة بوجـهٍ مستاءٍ ومنقبضـ. تعجّبنا جميعًـا متسائلين عن سبب انزعاجـه. في البداية ترّيث قليلًا ثمّ قال: «**بناءً على المعطيات، لن تُنفّذ العمليّات الأخرى، ويجب علينا أن نعود أدراجنا!**».

عنـد العودة إلى «**كرخه**» كان الجميـع منزعجين، والحزن مرتسمًا على الوجوه.

بعـد عدّة أيّام، وخلال مراسم صباحيّة مشتركة أُقيمت في الغرفة، اعتـذر «**الحاجّ كوثري**» – قائد الفرقة – في حديثه إلى الإخوة (بسبب قرار عدم المشاركة)، ووعدنا بالمشاركة في العمليّات القادمة.

مضـت عـدّة أيّام، إلـى أن سمعنا يـوم الجمعة علـى الراديو صوت المارشات العسكريّة، إيذانًا بإعلان نتائج عمليّات «**كربلاء5**» المظفّرة. ظهـر التأثّر جليًا على جميـع الإخوة. كانت أصـداء الصلوات والتكبير ترتفع من الخيام، والعبارات الحماسية تصدر من هنا وهناك.

فـي ذلك اليوم، جمع «**الحاجّ حسين**» الإخـوة في ميدان المراسم، وطلـب من الجميع أن يتجهّزوا بسرعة. بكـى الإخوة شوقًا ولم تسعهم الفرحة. على الفور جمّعنا التجهيزات، وتحرّكنا باتجاه القافلة بواسطة حافـلات النقـل. انشغلنا مـن اللّيل وحتّـى الصباح، بنصـب الخيام واختبـار العتـاد والتجهيـزات عند «**نهر الـكارون**»[1]. بعـد الاستراحة وتقريبًا عند الغروب، جُمعنا كلّنا في مكانٍ واحدٍ. كانت تلك ساعات ما

(1) نهـر الـكارون: نهـرٌ جنوبي غربـيّ إيران، ينبع مـن زرد كوه (الجبـل الأصفر) ضمـن سلسلة جبال زاغروس، ثمّ يصبّ في شطّ العرب؛ ومنه إلى الخليج العربي مشكّلًا دلتا جزيرة عبادان.

قبل العمليّات. تبدّل حال الإخوة، كان النور يسطع من الوجوه. بعضهم كان يبكي، وبعضهم الآخر يتوسّل واضعًا يده حول عنقه، وطالبًا من الله فكاك الرقاب من الأوزار، وبعضٌ غرق في أنين المناجاة.

ارتفعت أصداء الصلوات لحضور «**الحاجّ حسين**» الذي بدأ كلامه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم. عافاكم الله أيّها الإخوة. نعم! في النهاية حانت لحظة العمليّات، ويجب أن نتوجّه لأجل الإطاحة بالعدوّ الذليل. ولكن قبل أن نمضي، أريد أن أُذكّر بعدّة نقاط:

«أيّها الإخوة! يجب علينا أن نعلم لماذا جئنا إلى المنطقة، وسعيًا وراء أيّ هدف شاركنا في هذا الجهاد. يجب أن نعلم أيّ نوع من الأشخاص هو عدوّنا. أعداؤنا هم نفس أولئك الذين قبل ألف وأربعمائة سنة قد آذوا سيّدة الكونين الزهراء عليها السلام في أزقّة المدينة، وكسروا ضلعها، وجعلوا عضدها يَزْرَقّ. هم أنفسهم الذين قتلوا حُسَينها، وداسوا عليه بالخيول؛ إنّنا ذاهبون كي نردّ الصاع ونثأر لمظلوميّة الزهراء عليها السلام».

غرقت عينا «**الحاجّ حسين**» بالدموع، وانتحب الإخوة وبكوا. والحاجّ أيضًا عجز عن إكمال الحديث لشدّة البكاء. بعد ذلك قرأ الأخ «**رضا بور أحمد**» مجلس عزاء عن روح الزهراء عليها السلام، وتوسّلنا جميعًا بها عليها السلام لمدّنا بالعون في هذه العمليّات، وكان نداء بدء العمليّات أيضًا بالاسم المقدّس «**يا زهراء**».

تهيّأنا للذهاب. ركبنا السيارات، وحينما وصلنا إلى خطّ الجبهة بدأنا الهجوم. ضربنا بنداء: «**يا زهراء**» في قلب العدوّ. كانت لحظات مصيرية. صرخات التكبير اختلطت مع أزيز الرصاص وأصوات القذائف المدوّية. كان تراب الجبهة يفوح بعبق الملكوت. لم نعد نعي مكان كلٍّ منّا. وكنّا نُردّد بيننا وبين أنفسنا كلام الحاجّ حسين: «**نذهب لنثأر للطمة الزهراء** عليها السلام».

عندما وصلنا إلى «**مثلّث الشهادة**»، استقررنا خلف السواتر الترابيّة. كان قلبي ينبض بتأثّر وحماسة. خلال هذه المدّة، لم يكن الحاجّ قد مرّ بنا للاطّلاع على أحوالنا. قلتُ في نفسي: لعلّه مشغولٌ في مكان آخر بتقديم المساعدة للإخوة. مضت عدّة أيّام والعمليّات على هذا المنوال، دون أن يحضر «**الحاجّ حسين**» إلينا. في اليوم الرابع جُرحت، فقاموا بنقلي إلى الخطوط الخلفيّة...

❧❧❧

وهنا عدتُ إلى نفسي... واستعدت وعيي. كان ذلك قريب الصباح. وحينما صلّيت، ذهبتُ مجدّدًا إلى غرفة مهدي بمساعدة جلال. كان مهدي قد أتمّ صلاته قبل قليل، ولا زال يقرأ زيارة عاشوراء. عندما رآني، تقدّم وقبّل جبهتي وسأل عن حالي.

قلتُ: «**بالله عليك يا مهدي، أنا لا حول لي... قل كيف استشهد الحاجّ حسين؟**».

مهدي الذي رأى إصراري، قال: «**صبيحة ذلك اليوم الذي وصلنا**

فيـه إلى المنطقة، انشغل الحاجّ وعدد مـن الإخوة الآخرين بتوجيه المجاهديـن، عنـد مثلّـث طـرق الشهادة. هـل تعـرف الأخ ساغري؟» قلت: «**نعم! أهو نفسه الذي كان في سريّة «البقيع؟»** قال: «**نعم**»! قبل العمليّـات بثلاثة أيّام، قال للحاجّ حسين : «**يا حـاجّ سوف نستشهد أنا وأنـت في مكانٍ واحـدٍ**». وقد حدث ما قاله بالفعل. استُشهد «**ساغري**» بشظيّـة، وبعـد لحظـات أصابت شظيّـة أخرى «**الحـاجّ حسينًـا**» فنال أمنيته.

أرسـل الحاجّ «**أبو الفضـل**» جثمانه فورًا إلى الخطوط الخلفية؛ كي لا تُضعـف شهادتـه معنويـات الإخـوة، وأوصانا - نحـن الذين شهدنا الموقف- أن لا نتحدّث بشيء لأيّ شخص. كنتُ هناك، ورأيتُ الحاجّ . بدا كأنّه مستغرق في سُباتٍ جميل. هنيئًا له».

بعـد أن أُذِن لـي بمغـادرة المستشفى، وجدتُ بعـد البحث، المكان الـذي دُفِن فيه «**الحاجّ حسين**». دُفِـن في الجزء السابع والعشرين من روضة الشهداء «**جنة الزهراء** عليها السلام».

أسرعـتُ يومها إلى محضره. نعم، إلى محضره، كيف لا وهو لا زال حاضـرًا، وسيظـلّ كذلك! وبكيـتُ أمام الضريح علـى ذكرى الخواطر الماضية.

مهرجان النار

١

تنفّس الصبح، وشيئًا فشيئًا كان نوره يشتدّ. خرجنا من مكان استراحتنا. كان برد شهر «**بهمن**»[1] يُخدّر الجسد، ويغسل النفوس من آثار النوم والنعاس. ومع هذا كنّا لا نزال متعبين، ولم يكن لأيٍّ منا القدرة على الاستطلاع والتجوال في أنحاء محلّ الخدمة الجديد.

عصر يوم أمس، وبعد ست عشرة ساعة من الرصد والمراقبة الشديدة للطرق، والبقاء ما بين اليقظة والنوم، نقلونا بحافلة تعمل بصعوبة، إلى مقرّ كتيبة مظليّي شرطة «**وَنَك**». كانت دورتنا التدريبيّة قد انتهت وحضرنا إلى هذه الكتيبة لمتابعة خدمتنا العسكريّة.

لحظة وصولنا خطفت أبصارنا أضواء الزينة الجميلة المتلألئة التي عُلّقت على المبنى الإداريّ للكتيبة بمناسبة الأيّام المباركة لعشرة الفجر.

مع إسفار الصباح، كان موظّفو وعديد القاعدة يدخلون بالتدريج. بالنسبة إلينا، نحن الغرباء عن الأجواء العسكريّة، ولا سيّما محلّ خدمة «**قوّات المغاوير**» (القوّات الخاصّة)، أثارت إعجابنا تلك الأبّهة والوقار، والأجسام المتناسقة ذات العضلات المفتولة والبدلات الخاصّة.

---

(1) بهمن: يوافق شهر شباط الميلادي.

كان قد مرّ بعض الوقت على وصولنا إلى خطّ الجبهة، حينما صرخ العريف الحارس: «**قف! تأهّب! قدّم سلاحك!**» موجهًا نظر الجميع إلى جهة غرفة خدمات مركز القيادة، حيث توقّف جيب عسكريّ ترجّل منه رجل ما لبث أن توجّه نحونا. كان النقيب بطول مترين تقريبًا، تغمر وجهه بشاشة ووقار، وله حاجبان سوداوان وشاربان معتدلان وكثيفان. كان يضع نظّارة شمسيّة ويرتدي لباسًا مرقّطًا، ويلفّ عنقه بمنديل من قماش مظلةٍ أو شبكة التمويه.

لفت أنظار الأخوة وحدّقوا فيه بشكل لا إراديّ، حتّى إنّه بعد مضّي عدّة أيّام على وجودنا في المعسكر واعتيادنا على الأجواء، ظلّ البحث عن هوية هذا الشخص شغلنا وحديثنا.

كان اسمه النقيب «**محموديان**»، من أبناء منطقة مازندران ومن عداد مغاوير القوة البحرية، والذي على ما يبدو، نُقل إلى كتيبة مظليي الشرطة. كان موضع ثقة جميع قادة الصفّ الأوّل الذين اختبروا مرّاتٍ عديدة شجاعته وحنكته في العمليّات المتنوّعة. شعر الإخوة بالفخر لوجودهم بإمرة هذا القائد، واندفعوا يُنفّذون أوامره بكلّ إخلاص للمودة والصداقة التي بادرهم بها، دون أن يساورهم خوف من تسلسل الرتب في الجيش.

كان قد مضى على وصولنا إلى المعسكر عدّة أشهر. وطوال هذه المدّة كنّا نتعلّم في كلّ يوم أشياء جديدة. في أحد الأيّام شاع بين الإخوة خبر حول مهمّة جديدة في كردستان. بعضنا لم يصدّق، وبعضنا

وجد في التحرّكات غير المعهودة التي حدثت مؤخّرًا، إشارة على أنّ ما يدور ليس مجرّد كلام. وصحّ ظنّهم، فبعد مدّة أُبلغت المهمّة الجديدة رسميًا وأعلن مكتب السريّة أنّه جاهز لاستقبال أسماء المتطوّعين. فكّرتُ عدّة أيّام في هذا الموضوع وعزمتُ في نهاية الأمر على الالتحاق ودوّنتُ اسمي. ولحسن الحظّ، تمّت الموافقة على إرسالي. وبعد أن ذهبتُ في إجازة عدّة أيّام وودّعتُ العائلة، عدتُ مجدّدًا إلى الكتيبة.

كان ذلك بعد ظهر يوم الاثنين. جُهّزنا بالأسلحة والعتاد وأكياس النوم والذخيرة وسائر المعدّات، وتوجّهنا إلى المنطقة محمّلين بنظرات العشق والحماسة التي وَدَّعَنا بها الإخوة في الكتيبة. وصلنا إلى منطقة «**سَنَنْدَج**» مع طلوع الشمس. وهناك شرح العقيد «**بهراميان**» لنا الأهميّة الاستراتيجيّة لموقع العمليّات وخاصّة في حفظ أمن المنطقة. لقد أُرسلنا إلى «**نوسود**»، وهو مكان تنفيذ العمليّة.

أدخل خبر وصول مظلّيي الشرطة، وخاصّة النقيب «**محموديان**»، الوحشة والخوف على قلب العدوّ، فهو كان قد أذاق العدوّ ضربات قاسية في المرات السابقة التي أُرسل فيها إلى هذه المنطقة.

أمضينا بقيّة النهار في إنزال العتاد ونقله. وكان النقيب «**محموديان**» طيلة هذه المدّة يعمل معنا جنبًا إلى جنب، ويبذل كلّ وسعه في مساعدة الإخوة وإنجاح الأعمال.

قُسّم الإخوة إلى مجموعات، وحُدّدت المواقع. استقررنا أنا و«**فرزاد**» و«**يونس**» و«**جواد**» والعريف «**بزمي**» في أحد المواقع.

كانـت التلّـة التي استقررنا عليهـا مشرفة على جميـع الطرق وعلى قرى «**نوسود**» الاستراتيجيّة وعلـى أمكنة تحرّك وطرق إمداد واتّصال العناصر المعادية للثورة. كانت مهمّة مجموعتنا تأمين الطرق والسيطرة عليها، ومنع العناصر المعادية من الاتّصال بالقرى المجاورة.

أدّى استقرارنا في «**نوسود**» إلى الحدّ من تحرّكات العدوّ وإمداداته بنسبـة تزيد على 60%. واختلّ تواصلهم مع أكثر من 16 قرية في هذه المنطقـة. واستولى الذعر على قوّاته؛ فاندفعوا إلى الاشتباك معنا كلّ ليلـة بشكل متقطّع، من الساعة التاسعة حتّى أذان الفجر. وفي الليالي التـي كان يتخلّـف فيها ضيوف الشـؤم ويطغى سكون الليـل، كنّا نصل الليل بالنهار في انتظار وترقّب، تضيق منه صدورنا.

لكنّ هذه الأوقات الحرجة لـم تؤثّر في تفاني النقيب «**محموديان**» وعزمه. وإن كنّا نحن نحرس في الليلة ساعتين أو ثلاث، فهو كان يظلّ مستيقظًا الليل بأكملـه؛ ليستريح فقط ثلاث أو أربع ساعات بعد طلوع الشمـس. وبقينـا على هذا الحـال إلى أن كانت تلك الليلـة في أواسط شهر فروردين من عام 61 هـ. ش[1].

كنّـا قـد تناولنا العشاء، وانشغـل كلّ منا بعمل ما. «**جـواد**» كعادته، كان يمـزح ويضحك. سحب «**فرزاد**» آخر نفـس من سيجارته وأطفأها فـي منفضة للسجائـر، صُنعت من ظرف فـولاذيّ لحشوات الرصاص الفـارغ. وأنا كنـتُ أتصفّح دفتـر مذكّراتي الصغيـر، مستعيدًا في كلّ

(1) الموافق لشهر نيسان 1982.

ورقــة منه صورة مــن الماضي. والمذيــاع، كان يبثّ بــلا توقّف، فقط ليكسر السكون الذي يلفّنا!

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة. توجّه «**جواد**» نحوي، وقال بلهجة ممتزجة بالسخرية:

«**يــا أكبــر... لا تنعــس! أرسلــتَ أبنــاء الناس إلــى العمــل، ونسيتَ نفسك! عليك أن تأخذ مكان يونس!**»

قمــتُ من مكانــي مسرعًا. وخلال ثوان قليلة لبســتُ ثيابي، وحملتُ المعطــف وتوجّهت إلى موقــع الحراسة. كان يونــس مشغولًا بالمراقبة بمنتهــى الدقّــة، لاحتمــال حــدوث اشتبــاك قــويّ وقريب، وقــد جهّز عبــوة تلفيزيونيّــة[1] وضعت في حوزتــه، كما قضت توجيهــات النقيب «**محموديــان**». بعــد توجيه التحيّة والاعتذار لأنّــي تأخّرت عدّة دقائق، تسلّمــتُ السلاح وجعبــة الذخيــرة، وجلستُ على كيس ملــيء بالتراب استخدمناه ككرسيّ.

التلّــة التي استقررنا عليهــا تشبه قطعة السكــر المكعّبة، وتتوسّط سبعة مواقع للحراســة موزّعة على أطرافها تتولّى الدفاع عنها. وبينما كنــتُ أحرســ المحيط بدقّة وحــذر متناهيين، سطع فجــأة، نور باهر أسفــل الموقع المجاور. كان ضياؤه بنفسجــيّ اللون مائلًا إلى الأحمر، أضاء المكان برمّته.

كانت تلــك هي المرة الأولى التي أرى فيهــا انفجار قذيفة «**الآر بي**

(1) مصطلح عسكريّ لنوع من العبوات الموجّهة ضد الأفراد.

جي» من هكذا مسافة. كاد صوتها القويّ يذهب بسمعي. أسرع النقيب «**محموديان**» بالخروج من موقعه، واقترب منّي بحذر. كانت الأعشاب والنباتات في مكان الانفجار تحترق وتضيء قسمًا من التلّة. أُعلِنَتْ على الفور حالة التأهّب والاستنفار، وجمع النقيب الإخوة قائلًا:

«**أيّها الإخوة! لقد حضر الضيوف الذين انتظرناهم باكرًا! كونوا مطمئنّين بأنّنا سنقضي عليهم. فأنا لا أتوقّع أيّ ضعف أو عجز من إخواني الشجعان. هؤلاء يُظهِرون أنّهم أقوياء وكثر، ولكنّهم في الحقيقة ليسوا بشيء**».

وفي الأثر، قسّم النقيب محموديان الأفراد إلى عدّة مجموعات. ولم يمضِ وقتٌ طويل حتّى بدأ مهرجان النار! كانت رصاصات القنص تطنّ مثل النحل المزعج، وتصفّر فوق رؤوسنا بلا انقطاع.

خمّن النقيب «**محموديان**» عديد أفراد العدوّ بنحو 200 شخص، أمّا نحن فلم يتجاوز عددنا 50 شخصًا. وهذا الأمر كان مستغرباً جدًّا، حيث كان أعداء الثورة يهاجموننا بمجموعات أقل من 10 أشخاص، ومثل هذا الفارق الكبير في العدد يظهر مدى حساسيّة التلة، وأهميتها بالنسبة إليهم. ولقد أصبحت السيطرة على تلّة «**نوسود**» أمرًا مصيريًّا.

مرّ على بدء القتال نحو الساعة، والنيران تنهمر من كلّ جهة. جُرح عدد من الإخوة، لكن لحسن الحظّ لم يستشهد أحد منّا. كان **النقيب** «**محموديان**» على الدوام، كالريح في حركته، يتابع إصدار الأوامر. تصاعدت رمايات العدو، ووصلت إلى الذروة، وأدركنا أنّ الأمر قد

شـارف على النهاية! وفي هـذه الأثناء كان عدد الجرحـى يتزايد وقد ارتفع أوّل شهيد.

استمـرّ النقيـب «**محموديان**» برفـع معنويّاتنـا بابتسامته التي لم تفارق شفتيه لحظة واحدة، وهو ما أثار إعجابنا. كان يتنقل بين الأخوة بنشـاطٍ لا يعرف الكلل، وبخُلُـقٍ رفيعٍ يكاد لا يُتصوّر، مؤكّدًا على إنجاز المهمّات واتّباع الأوامر:

«**ثقوا أيّها الشباب، أنّكم إن نفّذتم كلّ الأوامر بحذافيرها وثبتّم حتّى الغد، فإنّنا وبكلّ إباء، سنطهّر الموقع من جثث هؤلاء الأعداء القَذَرَة**».

كانـت قد مضـت قرابة الساعتيـن على بدء القتـال، عندما أعطى القائـد أمـرًا بأن نكون في منتهـى الدقّة والاقتصاد فـي إطلاق النار؛ كـي لا تنفد الذخيرة القليلة التـي بحوزتنا. وهو بدوره كان يرمي طلقة طلقـة برشاشـه الكلاشينكوف الذي قدّمته الشرطـة له هدية كتقدير على مواقفه الشجاعة والمِقدَامَة.

استمررنا على هذا الحال إلى أن استدعى النقيب محموديان عامل الإشـارة، وطلب عبر الجهاز قوّات مساندة من المعسكر. لكن الجواب كان أنّه لا حلّ في الوقت الحاضر، بسبب حلول الليل وعدم وجود قوّات تأمينيّـة عند الطرقـات؛ وكمائن العناصر المعاديـة للثورة على جميع الطرق الرئيسة.

كان النقيـب «**محموديـان**» يعلـم أنّ جهاز اللاسلكـيّ مراقَب، وأنّ العناصـر المأجـورة تستـرق السمع، ومع ذلـك أقدم على هـذا الأمر

العجيب، وأعلن أنّه لم يتبقّ من القوّات سوى ثمانية جنود جرحى، وأنّه هـو نفسه قد جُرح أيضًـا وأنّ العدوّ إن هاجم الموقـع، فلن يتمكّن من الدفاع عنه! وعندما طلب المعسكر منه الصمود حتّى الصباح لإرسال قـوّات المسانـدة، ردّ النقيـب محموديـان بصوت غاضـب إنّ الطعام (الذخيرة) علـى وشك النفاد، ولا يمكن الصمـود حتّى الصباح بهذا العـدد القليل مـن الجنود! ثمّ قُطـع الاتّصال. كانـت المحادثات على الجهـاز اللاسلكيّ تجري عادة بواسطة الشيفرة؛ لذا فإنّ كلامه أوجد شـكًّا وشبهة في قلـب العدوّ الذي لم يتمكّن من أن يعرف إن كانت هذه المسألة واقعًا صحيحة أم لا.

في هـذه اللحظة، استلّ النقيب محموديان سلاحًا رشاشًا، واستقرّ في مـكانٍ كان قد حدّده بنفسه، وأمر عريف الموقع أيضًا أن يبقى إلى جواره كمساعدٍ له.

تمدّد العريف بجانبه على الفور، وأبلغ النقيب جميع القوّات بالتوقّف عـن إطلاق النار، وليس لأحـد استخدام السلاح ما لم يطلق النار هو، وأنّه سيتّخذ أشدّ الإجراءات عند المخالفة.

عندما لاحظ العدوّ أنّنا لا نردّ على نيرانه بالمثل، توقّف عن إطلاق النار. ساد المكان سكون مفاجئ. كان سكونًا عميقًا وثقيلًا إلى حدّ أنّ أخفّ الأصوات كان يُسمع بشكل واضح.

كانـت العيـون ترقب المحيـط باضطـراب، والآذان بانتظار سماع صوت، والأصابع تتحسّس الزناد. اقتربت الساعة من الثانية عشرة من

منتصـف الليل. أرسـل النقيب محموديان إشارة بـأنّ الانتظار شارف علـى النهاية. مضى ربع ساعة والوضع على مـا هو عليه، وفجأةً، سُمع صـوت خشخشة ضعيفة. كان العملاء قد بدؤوا بالتحرّك والتقدّم، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتّى لاحت أشباحهم المشؤومة من بعيد.

كان ظـنُّ النقيـب «**محموديـان**» في محلّـه. كان عددهم يزيد على 150 شخصًا. وهو أكّد على العريف أن يُفهِم الإخوة فردًا فردًا أن تبقى حواسّهم متيقّظة ولا يغفلوا عنه، وأن لا يسمحوا للخوف أن يتسرّب إلى قلوبهـم، وأنّهم إن التزموا بوقف إطلاق النار إلى حين إعطاء الإشارة ، فسوف يحتفظون يقينًا بأرواحهم سالمة.

في هـذه اللحظات، كانت عناصر العدوّ تتقـدّم ببطء وهدوء لعبور الممـرّ المشـرف علـى الطريـق الفرعيّ فـي الطرف المقابـل. وكان النقيـب «**محموديان**» قد أجرى قبل ذلـك مسحًا كاملًا للموقع، وحدَّد جميع المعابر ونقاط الضعف التي يمكن أن يستغلّها العدوّ للنفاذ إليه؛ ولذلك وضع راميًا يُشرف بدقّة على ذلك الممرّ.

كنّا نُثني في قلوبنا على ذكائه ودرايته وعلمه العسكريّ، وكنّا نزداد إيمانًا بضرورة تنفيذ أوامره في كلّ لحظة.

اقتـرب العدوّ من المعبـر، ولم يعد يفصله عنّا أكثـر من 60 مترًا. كانـت قلوبنـا تنبض بشـدّة، بانتظار الأمـر بإطلاق النـار، وتسأل لم التريّث والتأخير. تَمَلَّكنا القلق ممّا ستؤول إليه الأمور، بينما كان النقيب «**محموديـان**» يحتضـن رشّاشه ببرود وطمأنينة، وهـو يحدّق بدقّة في

المعبر. أصبح الأعـداء ظاهرين أمام أعيننا. رأيناهم يتقدّمون زحفًا فيتوقّفون قليلًا، ويُؤمِّنون طريقهـم ثمّ يعاودون التقدّم. تحرّكوا بحذر رغـم أنّهـم كانوا شبـه متيقّنين مـن أنّ قوّاتنا قد أُبيـدت. وما هي إلّا لحظـات حتّى تمركز أكثرهم في قلب المعبر، وباتت المسافة الفاصلة بيننا لا تتجاوز العشرين مترًا.

استولـت علينا الرهبـة ممّا ستؤول إليه الأمـور، إلى أن كسر صوت رشاشـ النقيب «**محموديـان**» المدوّي فضـاء الصمت. كانت هذه هي الإشارة التي ننتظرها، وانطلقنا نرميهم من كلّ اتّجاه. كانوا يسقطون على الأرض كما تتساقط الأعشاب الضّارّة تحت سطوة المنجل.

كان العريـف يُبرّد سبطانة الرشاش بشـكل دائم، كلّما احمرّ لونها من شـدّة الحرارة. بناءً على أمر القائد، كانت جميع النيران والقنابل تتركّـز باتّجـاه النقطـة التي كان يرمي هـو عليها. وفي أقـل من عشر دقائـق، وقعت خسائر فادحة فـي مجموعات العدوّ، لـم يكن بإمكاننا تحديد حجمها، ولا تحديد عدد من تبقّى ولاذ بالفرار.

بعد المعركة القاسية التي خضناها، استمررنا في حراسة المنطقة مدّة ساعة تقريبًا، إلـى أن طمأننا النقيب «**محموديان**»: «**عافاكم الله أيّها الشباب، المسألة انتهت**».

خمّن النقيب محموديان عدد قتلى العدوّ بنحو 60 إلى 70 شخصًا. وقد استغلّ العملاء ظلمة الليل، وسحبوا معهم جثث قتلاهم القذرة.

شارفت مأموريّتنا على الانتهاء، وكما يقول الإخوة إنّ «**قطع الغيار**»

الاحتياطيّة ستصل خلال أسبوعين أو ثلاثة، والتي لم تكن في الحقيقة سوى قوّات البديل التي ستحلّ محلّ الإخوة! وكنا نسمّيها مزاحًا «**قطع الغيار**»!

بعد تلك الملحمة التي لا تُنسى، حيث ارتفع 3 شهداء ووقع 11 جريحًا، لم يجرؤ العدوّ على مهاجمة الموقع، ولا حتّى على إطلاق رصاصة واحدة باتجاهنا، إلى أن انتهت المأمورية. في اليوم الأخير من مأموريّتنا، سمعنا مسؤول العناصر المعادية يُهدِّد النقيب «**محموديان**» على جهاز اللاسلكيّ بصوتٍ حانقٍ يُظهر ثقل الهزيمة التي لحقت بهم قائلًا: «**لن أنسى هجوم تلك الليلة أبدًا، وفي النهاية سأنتقم!**».

جاء اليوم الذي انتهت فيه مأموريّتنا. وبعد تسليم الموقع وتقديم النقيب «**محموديان**» توصياته الأكيدة إلى القائد الجديد، رجع الجميع إلى طهران. ومنذ ذلك الحين، ظلّت ذكرى تلك الليلة الخالدة ماثلة في أذهاننا، نذكرها بمناسبة ودون مناسبة.

... بعـد انتهاء خدمتي علمـت أنّ النقيب محموديـان قد خُتم له بالشهـادة في إحدى المعارك، ضدّ المعاديـن الأشرار للثورة، تاركًا في قلوبنا أسًى وحسرةً لفقـده، وراسمًا لنا طريق المريدين لنمضي عليه.

١ كالوردة الحمراء

انتصف النهار؛ كانت شمس الجنوب الخريفيّة تسطع بأشعّة ذهبيّة على الصحراء التي استحالت سماؤها بحرًا هائجًا ومتلاطمًا، بفعل الأصوات المدوّية لانفجار القذائف المدفعيّة. لم تكن النيران الغزيرة لدبّابات العدوّ ورشّاشاته الآلية لتتوقّف لحظةً واحدة. ومع كلّ انفجار، كان التراب والغبار والدخان يعانق السماء، كأفعى مجروحة وغاضبة تلتفّ على نفسها. كانت اللحظة لحظة الموت والحياة، والزمان زمان العشق والانعتاق...

ليلة أمس، أُنجزت المرحلة الثالثة من «**عمليّات محرّم**»، وحرّر مجاهدو الإسلام بنجاح «**مخفر الزبيدات**» والمناطق المجاورة. ومع ظلمة السحر، بدأت الشاحنات والجرّافات بحفر الخنادق، لتوفير ملاذ آمن للإخوة المجاهدين تحسّبًا لهجوم العدوّ.

جرى حفر خندق امتدّ بمحاذاة الطريق المعبّدة حتّى «**مخفر الزبيدات**». وبقي القسم الآخر من الطريق المتعرّجة التي تقع إلى الجهة اليسرى من المخفر، وتمتدّ باتّجاه العراق إلى الجناح الأيمن، وتنتهي بالمرتفعات المشرفة على المنطقة، حيث كانت تقع مباشرة تحت نظر العدوّ الذي حشد جميع قدراته وطاقاته في هذه المنطقة

الاستراتيجيّة، أملًا بالسيطرة عليها وقلب الكفّة لمصلحته.

استقـرّ رأي القادة على أن يرسلوا عددًا مـن وحدات العمليّات إلى الخـط الأمامـيّ للحدّ من تقدّم العـدوّ. كانت **سريّـة** الشهيد «**غفاري**» من كتيبة «**صاحب الزمان**» التابعة لـ «**لواء كربلاء 25**» – والتي أُوكلت مهمّة قيادتها إلى الأخ «**علي غفاري**»– إحدى هذه الوحدات المنتخبة. وكنتُ أنا عنصرًا في قوّات هذه السريّة.

كانـت مهمتنا التموضع علـى جوانب الطريق المعبّـد، على مسافة 500 متـر إلى الأمام من مخفـر الزبيدات. جمع الأخ «**غفـاري**» أفراد القوّات المتبقيّـة من المرحلة الأولى للعمليّـات بسرعة، وكان عددهم نحو 20 إلى 30 شخصًا. وبعد أن أتممنا الاستعداد، تحرّكنا إلى مكان المهمّة نحو الساعة التاسعة صباحًا.

لـدى وصولنا إلى المنطقة المذكورة، تقدّم أحد قادة قوّات الجناح الأيمـن، وقال: «**نريد عددًا من رماة قاذفـات الآر بي جي، فليرافقني مـن يرغب بصيد الدبّابات!**». استأذنتُ من القائد الأخ «**علي غفاري**» وتحرّكـتُ فورًا مع عددٍ مـن الإخوة من رماة «**الآر بي جي**» في السريّة. لـم أكن أنظر خلفي خـلال السير، لكـن عندما قطعنـا مسافة طويلة نسبيًّـا، أدركـتُ أنّ اثنين من معاونيّ لم يحضـرا. انزعجتُ جدًّا، لكنّ الوقت كان قد فات ولا جدوى من الانزعاج.

وفّـرت لنـا التـلال والمنخفضـات ومجـاري الأنهـار الفصلية في المنطقـة موقعًـا آمنًا يقِينَا نيـران وشظايـا العدوّ المباشـرة. أوقفنا

القائـد فـي وسط مجرى نهر فصليّ صغير يبعـد مسافة مئة إلى مئتي متر عن العدوّ وقال: «**فليتفقّد الإخوة عتادهم، والرامي الذي لا يكون مصحوبًا بمساعديه فلن يكمل معنا!**»

وهكذا أُجبرتُ أن أبقى في ذلك المكان إلى جانب أخوة آخرين. مع مضـيّ بضع دقائـق كان أحد الإخوة يعلن استشهـاد أحد المجاهدين، وفـي خلال الساعـة أو الساعتيـن اللتيـن قضيتهما هنـاك، استشهد العديـد ممّن كانوا حولي. لم يعد لي قـدرة وطاقة على البقاء في ذلك المكان! وزاد من حرقتي بُعدي عن «**علي**» وسائر الإخوة. تحرّكت فورًا نحو موقعنا مستعينًا بالتـلال والسيارات، واستطعتُ رغم نيران العدوّ الغزيرة، أن أصل إلى مكان الإخوة بسلام.

وصلتُ إلى موضع السريّة وقد تملكتني وحشة خفيّة. كانت أطرافي ترتجـف بهـدوء، وأنـا أتمتـم دون توقـف: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، لعلّـي أغلـب شيطاني الذي مـا انفكّ يوسوسـ لي. كان قد باغتنـي إحساسٌ غريب، لكن عندما نظرت إلى ملامح «**علي**» المنيرة والواثقـة، خجلتُ من نفسي وسكن قلبي فورًا! ولـو أنّ أحدًا من خارج الكتيبـة قد وصل توًّا ورأى **عليًا** في تلك الظروف، لظنّ أنّه من القوّات الواصلـة حديثًا إلى المنطقة، ومـا كان ليصدّق أبدًا أنّه منذ المرحلة الأولى للعمليّـات وحتّى الآن (المرحلة الثالثة)، في حركة ونشاط ولم يسترح للحظة واحدة.

استقبلتنـي ابتسامته المُرَحِّبة. فوجهه المبتسم ومعنوياته العالية

غسلا كلّ التعب عن بدني. كان كعادته يتابع أوضاع القوّات بروح مرحة. لم تكن آثار التعب والملل لتُرى أبدًا على وجهه، وهو يقف بكلّ شجاعة على الخطّ الفاصل بين الموت والحياة، يأمر الشباب بالمقاومة. كان معظم أفراد السريّة قد سقطوا بين شهيد وجريح، ولم يبق معه سوى عدد قليل من أفراد التعبئة، يعاونونه على سدّ الطريق على العدوّ.

كانت معركة الدّم ضدّ السيف! وفي الصف الأماميّ لجيش الإيمان ثبت «**علي**»، كالجبل فوق تراب كان يُزهر فيه كلّ لحظة شهيد مثل شقائق النعمان، وفي كلّ آن تخترق رصاصةٌ قلبًا شجاعًا، وتُغرِق جثمانًا بالدم. كان «**علي**» يقود قوّاته نحو النصر ويحيي نفوس الإخوة بشجاعته التي لا نظير لها وبابتسامته الخارقة.

كان قائد الكتيبة، لِمَا عهده من «**علي**» وأسلوبه في القيادة، قد أوكل إليه أكثر أجنحة العمليّات حساسية. وعلى الرغم من صعوبة هذه المهمّة، فإنّ السريّة التي قادها، وبالإضافة إلى السيطرة على مواقعها، فقد هبّت لمساعدة السرايا الأخرى منذ المرحلة الأولى للعمليّات.

لقد رأيتُ أشخاصًا كثرًا في مواقع مختلفة. كان الاضطراب والقلق ليستولي على أشدّهم قوّة وبسالة في مثل هكذا لحظات. لكنّ «**علي**» لم يكن يشبه أحدًا منهم. لم تكن لحظات العمليّات الحرجة المليئة بالمخاطر لتؤثّر في السكينة التي استوطنته، فكانت شبيهة بلحظات

وجـوده في الخطوط الخلفيــة. وأنا على يقين من أني لــو كنتُ وضعتُ يدي على قلبه لوجدته ينبض بشكل طبيعيّ.

كانــت سيطــرة العراقيّين علــى المرتفعات المشرفــة على الجناح الأيمــن، تجعلنــا تحت نظرهــم طيلة الوقــت، وتُمكِّــن مراصدهم من مراقبتنــا والإشراف علينا بشكل كامل، وتزويد بطاريات مدافع الهاون بإحداثيّات دقيقة.

كانت نيران العدوّ تنصبّ علينا بلا انقطاع، والقنّاصة استفادوا من الفرصة واستهدفوا الأخوة، وكذلك قذائف «**الآر بي جي**» كانت تصفر فوق رؤوسنا، وتنفجر على جدران مخفر الزبيدات الخربة.

سخّــر العــدوّ كلّ قواه ليُنهــي المعركة قبل حلول الليــل. وكان وضع سريّتنا صعبًا جدًّا وقد زاد الأمر سوءًا نفاد الماء والطعام.

بعد اطّلاع قائد الكتيبــة الشهيد «**مزدستان**» على الأوضاع الصعبة اقتــرح على الأخ «**علي**» عبر جهاز اللاسلكــيّ: «**إذا تعبتم فتراجعوا!**»، لكــن «**علي**» أجــاب بقوة وثبــات كعادته: «**اطمئنّ... لا معنــى للتعب لدينــا وســوف أبقــى في هذا المــكان حتّى آخر قطــرة دم، وما دام فيّ رمــقٌ من حياة لن أتراجع أبــدًا**». بهذه الكلمات ازدادت معنويّات قائد الكتيبة وشكره بسرور.

إنّه لجوابٌ شجاع لا زال رجْع صداه يتردّد في قلب تلك الجبال، كما في أذني.

كنــتُ جالسًا داخل شــقٍّ عميقٍ، إلى جانب عامــل الإشارة والإسناد

وعـددٍ من الشباب الآخريـن. جاء «**علي**» وجلس علـى صخرة صغيرة بالقـرب منّا وقـال: «**ألديك تمـر؟**»، قلت: «**نعم! إنّه فـي الجعبة فوق ظهري**».

عندما أخرج علبة التمـر من الجعبة كنتُ قد شعرت بالجوع أيضًا، فقلت له: «**أعطني علبة من المكسّرات فأنا أيضًا جائع جدًّا**». أعطاني علبة وبـدأت آكل منها، وهـو مشغولٌ بفتح علبة التمـر، وقال ممازحًا: «**بخيـل! أتقصد هـذه العلبة التي فسدت حبّاتها؟!**»، فقلتُ: «**يا أخي! هـذا التمـر بقـي مـن المرحلـة الأولـى للعمليّـات**»، **ثمّ شـرع بالأكل والابتسامة الحلوة تعلو وجهه.**

فجأة هتف أحد الإخوة الذي كان قد اتّخذ متراسًا خلف تلّة صغيرة، على بعد متر أو مترين أمامنا: «**علي! العراقيّون يتراجعون**».

لـم يُحرّك «**علي**» ساكنًا، وأجاب وهـو يأكل التمر بهدوء: «**نعم هذا واضح! عندما يهبط الليل عادة لا يجرؤ العراقيّون على التقدّم، ومن هـذه اللحظة سوف يبدؤون بالفرار**». بدا وكأنّه علم كلّ شيء مسبقًا! فمعنويّاته العالية وتوكّله على الله وقيادته الصحيحة واطمئنانه، كانت السند القويّ الذي يلوذ به المجاهدون.

غلب العطش الإخوة، إلى حدّ أنّه قام واتّصل عبر الجهاز اللاسلكيّ بقائـد الكتيبة طالبًا بعض المـاء، ثمّ عاود الجلوس على تلك الصخرة الصغيرة.

شارف يوم امتحان «**علي**» وإخوانه على نهايته. العدوّ يغادر المنطقة

يائسًا مطأطئ الرأس ذليلًا، والشمس تأفل ذاهبة لتشهد على شجاعة رجال الله واستقامتهم للأجيال الآتية في المحضر الإلهيّ.

كنّا نظنّ أنّه تنتظرنا، مع نهاية هذا اليوم الصعب والمليء بالعناء، استراحة ممزوجة بالسرور والعزّة. لكنّ نيران مدافع هاون العدوّ قد اشتدّت على الرغم من فرار قوّاته .

في تلك اللحظة، حضر الماء. غالون بسعة 20 ليترًا، حمله عامل إشارة الكتيبة بمساعدة عدد من المجاهدين الآخرين، وتحلّق عدد من الأخوة حوله لشدّة عطشهم. أمّا «**علي**» فاستغرق في التفكير بهدوء دون اعتناء بما حوله. كانت ابتسامة النصر قد تفتّحت على شفتيه.

أمّا أنا فقد قمتُ من مكاني، واعترضت على ازدحام الشباب على الماء! فنيران العدوّ كانت تشتدّ وفي كلّ لحظة يحتمل وقوع الخطر. وافقني «**علي**» وقال: «**أيّها الشباب! إنّه محقّ، لا تتحلّقوا حول الماء، وسوف يصلكم جميعًا.**»

ما إن هممتُ بالجلوس حتّى دوّى صوت قذيفة هاون سقطت بالقرب منّا، على بعد نصف متر. أحسستُ لحظةً أنّ الخوذة الحديديّة انغرست في رأسي، ولم أعد أعي شيئًا حولي. خلعتُ الخوذة عن رأسي. كانت ملطّخة بالدم. في تلك الأثناء كان صوت أنين قد استولى عليّ، إنّه **علي**!. عندما نظرتُ إلى الخلف وجدتُ أنّ عينيه قد أُغلقتا ولم يعد يرى شيئًا ...

رحـل «**علـي غفاري**» مـع غروب الشمـس؛ ليشرق نـوره الوهّاج في فجر القيامة. لقد استجاب لنداء ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ﴾[1]، بيقيـنٍ كاملٍ منذ البدايـة، وكنتُ أعلم منذ البدايـة، أنّ الله تعالى لن يُبقـي أنينه وتضرّعه في منتصف الليالي دون أجر. إنّه لحقٌّ! فأيّ أجرٍ حسن قد ناله!

تُلفـت النظر قبورُ باقةٍ من الشهداء، داخل مقبرة صامتة، في قرية «**آزاد شهـر**» في منطقة مازندران علـى مسافة من قرية «**توران تُرْك**»، وقبيل الوصـول إلى قرية «**تـوران فارس**». وعلى شاهـد أحدها نُقشت عبـارات بسيطـة: «**التعبـويّ الشهيـد علـي غفـاري، مـكان الشهادة: موسيان**» ...

وكذلـك نُقشت العبارات: جئـتَ إلى الدنيا وردة حمـراء، وكالوردة الحمراء عشت وفي الدم الأحمر سبحت... سوف نتابع طريقك الدامي.

مـا من أحد يعلم تمام العلـم، قريبًا كان أم غريبًـا، أنّ ساكن هذا القبر الصامت كان قائدًا مقدامًا، صنع المجد في كلّ مكانٍ من ساحة الحرب، ولا يـزال تراب الجبهة المقدّس يحتضـن آثار قدميه، ويبكي دمًا في الليل والنهار، حسرةً على تلك الخطى.

(1) سورة الفجر، الآية: 27-28.

في السماء.. عُقد القران

لم يكن الأمــن مستتبًا في «**كردستــان**»[1] حين دخلتها في ربيع عام 1980م. للمساهمة في الأنشطة الثقافية والاجتماعية.

ذهبت إلى «**سنَنْـدَج**»، بادئ الأمر. ولكن بعد مدّةٍ قصيرة أرسلوني إلى «**بانه**». عَرَّفتُ عن نفسي والتحقتُ بمقرّ الحرس الواقع في المدينة، وباشرتُ العمل فورًا. لكنّي فهمت بعد عدّة أيّام أنّ المشكلة الأساسيّة، هــي حفظ أمــن المدينة، وما لــم يتحقّق الأمن، فلن يكـون للنشاطات الثقافيّـة والاجتماعيّة تأثيرٌ يُذكر؛ لذا توجّهت إلى غرفة القيادة، وبعد الاستئـذان من الأخ «**خادمي**»، قائد الحرسـ في منطقة «**بانه**»، طلبتُ موافقته على أن أكون في خدمته، إن رأى في ذلك صلاحًا.

تحـدّث معي الأخ «**محمود خادمي**» بوجـهٍ بشوش. وبعد سلسلة من الأسئلـة المختلفة، سألني «**ما مقدار شجاعتك؟ نحن في هذا المكان بحاجـة إلى الإخـوة الشجعان والمؤمنيـن!**» تفاجأت، ولم أعلم بدقّة بمــاذا أجيب. قلـتُ بنبرة هادئة: «**سـوف أبذل كلّ وسعـي، وإن قبلني الله سأكـون حاضـرًا كي أقـدّم روحـي الرخيصة فداءً للإسـلام**». ردّ

---

(1) كردستان: محافظة إيرانية تقع في الشمال الشرقي للبلاد معظم سكانها من المسلمين الأكراد.

الأخ «**خادمي**» بجاذبية خاصّة قائلًا: «**ليس هذا! إنّ معيار اختياري هو أمرٌ آخر! اذهب وقف في زاوية الغرفة، وسوف أطلق الرصاص نحوك، فإن كنتَ تملك شجاعة وجرأة الوقوف، أقبلك**».

تعجّبتُ كثيرًا، فأنا لم أكن أتوقّع أبدًا هكذا استقبال.

ومع هذا، وعشقًا للخدمة في الحرس، ولاعتقادي بأنّ «**خادمي**» لن يقدم على إطلاق النار، ذهبتُ ووقفتُ في المكان الذي حدّده. ومرّت لحظة لم أعِ ما الذي حدث، فقط استشعرتُ طنينًا في أذنيّ من شدّة صوت الطلقات! وعندما نظرتُ حولي رأيتُ ثقبًا في حائط على بعد ثلاثين سنتمترًا من مكان وقوفي.

قال بعد دقائق: «**لقد قُبلت. تعال في الغد، وخذ اللباس الرسميّ وتطوّع زميلًا لنا في العمل**».

بدايةً، أثارت هذه المسألة الكثير من الأسئلة لديّ. لمَ فعل ذلك؟ وماذا لو أصابتني الطلقات؟ ماذا كان ليفعل؟ كانت مجاراتي له تهوّرًا منّي ... لكن عندما تحدّثتُ بعد ذلك مع بعض الإخوة الحرس، قالوا إنّهم جميعًا اختيروا بهذه الطريقة، وأنّه لا ينبغي أن أتضايق، لأنّ لـ «**محمود**» من الثقة بالنفس والمهارة في إطلاق النار ما يجعله لا يخطئ أبدًا. كان الإخوة على حقّ. ففي إحدى المرّات، شاهدتُ بنفسي كيف استطاع «**محمود**» أن يثقب أنبوبًا بقياس 2 ملم، عن مسافة عشرة أمتار، من الطلقة الأولى.

على كلّ حال، بدأتُ العمل صباح اليوم التالي في دائرة الاستقصاء،

المتعلّق بصور أعداء الثورة، وأوكل لي الأخ «**خادمي**» مسؤوليّة التعرّف إلى أولئك الأفراد. وكانت الأوامر قضت، بإيعازٍ من «**خادمي**»- عندما استُرجعت المدينة مرّةً ثانية من قبل مجاهدي الإسلام- أن تُجمَع صور المطلوبين عند تفتيش البيوت لحفظها في ألبوم، إضافةً إلى جمع الأسلحة والعتاد.

وهكذا تمكنّا خلال عدّة أشهر، من إيجاد نحو 200 قطعة سلاح، والتعرّف إلى عشرات المطلوبين واعتقالهم. كان تكليفي أن أقوم بجمع صور جميع الأشخاص الذين أخذوا لأنفسهم صورًا بالزيّ المسلّح في ألبوم مستقلّ، حتّى يتمّ التعرّف إليهم واعتقالهم لاحقًا.

كانت محبّتي لـ «**محمود**» تقوى وتشتدّ مع مضيّ الأيام. كان أسلوب قيادته للحرس بنّاءً ومؤثّرًا جدًّا. ففي الوقت الذي كانت قوّات أعداء الثورة، المجهّزة بكميّات كبيرة من الأسلحة المختلفة، تستبيح المدينة ليلًا، وتُخضعها لسيطرتها- كانت شجاعة «**محمود**» وتدبيره وجرأته تُلقي الرعب والرهبة في قلوبهم، حتّى إنّهم أعلنوا في بياناتهم عن جائزة لمن يتمكّن من اغتياله. وعلى الرغم من هذا، لم تكن تمضي ليلة دون أن يتجوّل متنكّرًا داخل المدينة. ومع ذلك كان يُعدّ الخطط لنصب الكمائن والضربات الهجوميّة، وينتظر الفرصة المناسبة لتنفيذها. وكنتُ قد شاهدته مرّات عديدة يتسلّل خفيةً إلى باطن الجبل، برفقة مجموعة من المجاهدين؛ ليهجم على أفراد «**الكوملة**»[1]

(1) الحزب الشيوعي الكردستاني.

و«**الحزب الديمقراطي**»[1] ويُنزِل بهم ضربات قاصمة.

كنتُ مع سبعة من الإخوة المجاهدين في خدمة «**محمود**» نرافقه ليلًا نهارا. وكلّ واحد منّا كان لديه ذكريات كثيرة عنه. لكن وللأسف، مع نهاية المأموريّة غادر الإخوة، وبقيتُ معه وشخص آخر. وبعد مضيّ عشر سنوات على تلك الأحداث، لا تسعفني ذاكرتي على استعادة كلّ الوقائع. لكنّي ما زلت قادرًا على تذكر حادثة بوضوح، حصلت قبيل شهادته.

بالإضافة إلى الإخوة، كانت هناك 3 أخوات من المضحّيات يعملن في عداد قوات الحرس. وكنّ، بالإضافة إلى العمل في الأمور التعليميّة والتربويّة، وفي قسم جهاد البناء في مدينة «**بانه**»، يصرفن قسمًا من وقتهنّ أيضًا في تقديم المساعدة للإخوة في الحرس، ويتولّين مسؤولية استجواب وتفتيش ومراقبة السّجينات من النساء. وفي أحد الأيّام، إثر حادثة مؤلمة، أصيبت إحداهنّ بجراح خطرة، وقام «**محمود**» بنقلها إلى المستشفى وهي بين الموت والحياة. كان قد مرّ على وجود هذه الأخت في مدينة «**بانه**» نحو سنة. كانت من أهل طهران والأنشط بين الأخوات.

بعد مضيّ عدّة ساعات عاد «**محمود**» إلى مقرّ قوّات الحرس، ووجهه مضطرب وحزين، وأعلن شهادة تلك الأخت، وهو في حالة عجيبة.

(1) أحد الأحزاب الكرديّة.

لم أكن حاضرًا في ذلك الموقف، إذ توّجب عليّ الذهاب إلى مدينة «**باختران**» لإنجاز مهمّة، لكنّني سمعت من الإخوة الذين كانوا هناك، أنّ «**محمودا**» أضاف بعد إعلانه الخبر:

«**أيّها الإخوة! أنا الآخر لن أعيش بعد هذا، ولعلّ الله أراد أن يعقد قراننا في العالم الآخر**».

أذكر أنّني سألتُ «**محمودًا**» في أحد الأيام: «**لمَ لا تتزوج؟**» فأجاب: «**حتّى الآن لم أجد الزوجة التي أريدها أنا أريد من تحذو حذوي في كلّ الأحوال، حلو الحياة ومرّها، حتّى إنّني أريدها أن تكون رفيقة سلاح لي في ميدان القتال وأن تعينني على هذا الطريق**».

بعد تلك الحادثة فقط، فهمتُ أنّ «**محمودًا**» كان قد اختار لنفسه زوجة المستقبل، غير أنّ إرادة الله شاءت أن يُحقّق «**محمود**» أمنيته في ذلك العالم. فبعد عدّة أيام من شهادة الأخت، وقعت حادثة مؤلمة:

كانت السّاعة الحادية عشرة ليلًا. أصيب أحد الإخوة بمرضٍ شديدٍ ولزم أن يُنقل إلى المستشفى. تصدّى «**محمود**» لهذا العمل بمرافقة أحد الأخوة. وكانت المستشفى تبعد 5 كلم، والطريق إليها يمرّ بالمدينة.

لم يكن قد مضى على خروجهم عدّة دقائق، حتّى مزّق سكون الليل صوت رشقات نارية متلاحقة. استنفر الإخوة وتحرّكوا باتّجاه الصوت، فوجدوا السيّارة وقد توقّفت عند مثلّث طرق، بعد أن تعرّضت للهجوم من ثلاث جهات. أسرع الإخوة وأخرجوا جثّة

«**محمـود**» الغارقــة في الدم، والممزّقة بطلقــات الرصاص من داخل السيّارة؛ أمّا الشخصان الآخران فقد أصيبا بجراحٍ بليغةٍ. وفيما بعد روى أحدهما ما جرى:

كنّــا في الطريــق إلى المستشفــى، عندما تعرّضــت السيّارة لهجوم مفاجئ من ثلاث جهات. أُصبنا نحن الاثنين بالرصاصات الأولى، وأُغمي علينــا في أرض السيّارة. لكنّ «**محمودًا**» هبّ للمواجهة وقاوم حتّى آخر طلقــة. وعندما رأى أفراد العدوّ جرأةَ سائق السيّارة وشجاعته، غافلين عن أنّه «**محمود خادمي**»، قائد قــوّات الحرس (في المنطقة)، اقتربوا مــن السيّارة بعــد أن أردوه شهيدًا. ولأجل إطفاء نار غضبهم وحقدهم، هشّموا وجهه ببندقية «ب. ب. ج» وابتعدوا عن المكان مسرعين.

استُشهــد «**محمود خادمي**» مع تشكّل خيوط الفجر. وبعد انتشار الخبــر، سادت المدينــة حالة عجيبــة. أُقيمت المآتــم وعمّت حالة العــزاء بسبب الفاجعــة. شُيّع الجثمان الطاهر فــي ذلك اليوم، في مراســم مهيبــة من مقرّ قــوّات الحرس إلى المسجــد الجامع حيث ودّعه المحبّون.

رجعــتُ إلى المعسكر بعــد مراسم التشييع؛ كــي أستريح قليلًا. لم تمضِ عدّة دقائــق، حتّى استيقظتُ على أصــوات وضجيج، لأجد أمام بــاب المعسكر عــدّة نساء وأطفــال يبكون مصابهم بحرقــة، ويندبون الشهيد خادمي.

سألــتُ أحد الإخوة من حرّاس المعسكر عمّــا يجري فأجاب: «**لقد**

كان الشهيد خادمي يذهب ليلًا إلى قلب المدينة؛ ليتفقّد- مثل مولاه عليّ عليه السلام- بيوت الفقراء والأيتام، ويُقدّم الطعام ولوازم العيش وحتّى الألعاب لأطفالهم!».

١ مسيح كردستان

منذ الأيّام الأولى لحضور «**محمّد**» في الجبهة الغربية للبلاد، جُذب إليه الإخوة المجاهدين كالمغناطيس. ولم تمضِ مدّة، حتّى أوكلوا إليه قيادة العمليّات على تلك الجبهة، والتخطيط لعدد كبير منها. وعكف بمساعدة جميع رفاق سلاحه، من أمثال «**كاظمي**»، «**كنجى زاده**»، «**سعيد كولاب**»، وغيرهم... على تطهير منطقة كردستان، وتحريرها ببسالة من يد أعداء الثورة، محقّقًا انتصارات باهرة.

لكن، لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى سمحت الحكومة المؤقتة[1]- بسياساتها المتوالية، التي شكّلت تارة ما سمّي بـ «**هيئة حسن النية**»، وخطّطت تارة أخرى لنزع سلاح المسلمين الأكراد- بإعادة سيطرة أعداء الثورة على كردستان.

في إثر هذه الأحداث، سارع «**محمّد**» إلى عرض خطّة تشكيل منظّمةِ «**الفدائيون الأكراد المسلمون**»[2]، على المجلس الأعلى لحرس الثورة، بهدف توحيد المسلمين الأكراد المهجّرين وتنظيم صفوفهم في

(1) هي أوّل حكومة تشكّلت بعد انتصار الثورة الإسلامية.

(2) البيشمركة الكردية.

مواجهة أعداء الثورة، المرتبطيـن بالاستكبار. وقد أُقرّت هذه الخطّة بجهـود ومعاونة اثنين من أعضاء مجلس الثـورة: الشهيد المظلوم آية الله بهشتـي، وحجّة الإسـلام والمسلمين الشيـخ رفسنجاني، وأوكلت مسؤوليـة تشكيلها إلى محمّد. وبتشكيل هذه المنظّمة، تمّ القضاء على دعايـات الاستكبار العالمـيّ المخادعة، واستطاع «**محمّـد**» بواسطتها القضاء على مخطّط إيجاد إسرائيل ثانية في كردستان.

بالتزامـن مع اندلاع الحرب المفروضة، قرّرتُ أنا وعددٌ من الإخوة المجاهديـن، أن نتوجّه برفقة محمّد إلى مدينـة «**سَرْبُل ذهاب**». وبعد مواجهـة شديدة، نجت المدينة من سقـوطٍ حتميٍّ، بفضل حُسن قيادة «**محمّـداً**» وجهـود الإخـوة وتضحياتهم. أصيـب «**محمّـد**» خلال تلك العمليّات في يده وأمضى فترة في المستشفى.

كان «**محمّـد**» يتفقّـد أحـوال جميـع الجبهـات، ويستمـع إلى كلام المجاهديـن ومطالبهم، ويسعـى شخصيًّا في حـلّ مشكلاتهم. كانت جميع حركاته وسكناته مثالًا يُحتذى، لجميع أصدقائه ورفاقه.

كانـت حالاته الخاصّة عند الصلاة والعبادة، وحرصه الشديد على المشاركة في مراسم دعاء التوسّل، ودعاء كميل، والبسمة التي رافقت محيّـاه في جميـع لحظات الحيـاة وأحوالها، وحُسْنُ السلـوك والإدارة والتدبيـر لمشـكلات المنطقـة فـي مواجهـة أعـداء الثـورة، ومحبّته الشديدة للناس والفدائيّين المسلمين، كلّها كانت أنوارًا ساطعة تظهر لنا ولكلّ من كان يعرفه، جوانب من شخصيّته الرفيعة.

بعد أن قُسّمت قوّات حرس الثورة على المناطق، تولّى «**محمّد**» قيادة المنطقة السابعة، التي كانت تشمل محافظات «**همدان**» و«**باختران**» و«**كردستان**» و«**إيلام**». وعلى الفور، طرح تأسيس مقرّ للقيادة عُرف بمقرّ «**حمزة سيّد الشهداء**».

كان المسؤولون يريدون منه أن يتولّى قيادة هذا المقرّ، لكنّه لم يقبل. وفي النهاية، وبعد إصرار شديد من قادة آخرين، قبل منصب نائب قائد المقرّ، ليبدأ بإنزال ضرباته الصاعقة بأعداء الثورة من ذلك الخندق المقدّس.

ومن إبداعاته الأخرى، كان تأسيس لواء «**الشهداء الخاصّ**»، والذي لقي ترحيبًا حارًّا من المجاهدين، وحقّق نجاحات باهرة.

تميّز محمّد بروحه المتسامحة وصدره الواسع، فكان يتحيّن الفرص المناسبة لزيارة «**التوّابين**» المعتقلين، المغرّر بهم في السجون. كان في تلك الليالي يجلس بينهم بتواضع وعظمة ويستمع إلى كلامهم بصبر وتحمّل. كان ينصتُ إلى شبهاتهم بروح أخويّة، ويبقى حتّى وقت متأخر من الليل، يبحث المسائل المختلفة. كان يصل الليل بالنهار، وينام بينهم بثقة وبال مطمئنّ، حتّى إنّه كان يرافقهم للرياضة الصباحيّة. وقد بعثت أعماله في نفوس «**التوّابين**» حماسة وشوقًا خاصّين دفعا بالكثير منهم إلى محاربة أعداء الثورة والاستشهاد في سبيلها.

كان لأحد قادة الحرس- واسمه «**ناصر كاظمي**»، والذي كان رفيق جهاد محمّد وعاشقًا له - دورٌ في عمليّات تطهير الطريق العام «**بانه**-

سردشت». كانت هذه العمليّات على قدر كبير من الأهميّة، وقد تشاركا في حمل أعبائها الثقيلة.

عند بدء التقدّم، قال عددٌ من المجاهدين للأخ كاظمي: «**قل للأخ بروجردي نقلاً عنّا، أن لا يتحرّك أمام الإخوة إلى هذا الحدّ، فمن الممكن أن يتعرّض للأذى**». لكنّ «**محمّدا**» قال بوجه متوهّج ومتورّد: «**إن كان هناك من ولاية، فأنا من له عليكم ولاية. فلا تتعدّوا حدودكم إلى هذا الحدّ!**»

استشهد العديد من القادة من رفاق «**محمّد**» خلال تطهير الطرقات والمحاور، ومواقع أخرى لأعداء الثورة. وفي إثر شهادتهم، تولّى «**محمّد**» فورًا قيادة عمليّات التطهير، في محورٍ صعب العبور؛ هو محور «**بيرانشهر- سردشت**»، وقاتل خلال هذه العمليّات لحظة بلحظة إلى جوار المجاهدين.

كنّا قد نزلنا يومًا في أحد المواقع المحيطة بـ«**أرومية**»[1]، عندما وَصَلَنا فجأة، خبر أنّ طائرة هليكوبتر تقلّ الأخ «**بروجردي**» واثنين من رفاقه، توشك على السقوط. تحرّكنا لأجل تقديم المساعدة لهم، وحينما وصلنا إلى مكان الحادث، ذُهِل الجميع لِما رأوه! كانت الهليكوبتر محطّمة، لكنّ ربّانها وبقية الركّاب أحياء. ورغم أنّ قدم «**محمّد**» اليمنى العالقة تحت قسم من هيكل الطائرة، قد كُسرت وسُحقت لم يبد عليه الانزعاج حتّى بتقطيب حاجبيه. حينها، أسرع

(1) مدينة أرومية مركز محافظة اذربيجان الغربية الايرانية

عـددٌ من أهالي إحـدى القرى المجاورة نحوه لاهثيـن، بعدما رأوا من مسافة بعيدة الطائـرة تسقط، وباشرنا جميعًا بتقديم المساعدة. من بيـن الأخوة الحرس، كان هنـاك أخ يجهد بقوّة ليسحـب قدم محمّد المجروحة، من تحت هيكل طائرة الهليكوبتر، بمساعدة الأهالي الذين هبّـوا بكلّ إخلاص لإنقاذ محمّد. توجّه هـذا الأخ إلى الناس وقال لهم بمحبّة ولكـن بصوت عال: «**انتبهوا..اسحبوه بهـدوء..**». وعلى الرغم مـن أنّ صراخه لم يطغ على العطف الذي بـدا منه تجاه الأهالي، فإنّ «**محمّـداً**»- الـذي كان في حالـة لا يحسد عليها من الألـم- توجّه إليه قائلًا: «**لمَ لا تتصرّف مع الناس بأخلاق إسلاميّة؟!**».

وعندمـا كان يُذكـر أمام «**محمّد**» حديث عن أحـد الأخوة، لم يكن يلتفـت إليه أو يعير الأمر أيّ اهتمام. وإذا استاء أحيانًا من سماع أمور قيلت عن أحد منهم، كان يُردّد «**اللهمّ اغفر لنا**». في البداية، كنّا نظنّ أنّـه استاء من اغتيابهم لـه. لكنّ محمّدا بنظرته الجميلة ولحن كلامه العذب كان يقول لنا: «**أنا منزعج من وقوع أشخاص جيّدين على هذا النحـو في الغيبة والمعصيـة بسببي، أنا الإنسان عديم القيمة الذي لا يكاد يبين**».

كان «**محمّد**» يتحسّس جدًّا من الكذب. أذكر في أحد الأيّام أنّنا كنّا فـي مقرّ قيادة الحرس في «**مهاباد**»، نقـرأ جميعًا «**إلهي عظم البلاء**» بعد أن أقمنا صلاة الجمعة. وما إن فرغنا حتّى فوجئنا به يقف ويلتفت إلى الإخوة قائلًا: «**هل وصلنا فعلًا إلى المرحلة التي حلّ بنا البلاء؟**

هـل فعـلًا انقطـع أملنا مـن كلّ شيء ونحـن نطلب العـون من الله؟ علينا أن ننتبه أيّها الإخوة حتّى لا نقول كذبة واحدة والعياذ بالله».

كان «**بروجـردي**» يفرّ دائمًا من الأحاديـث الصحافيّة والكاميرات التلفزيونيّة، وكان يريد أن ينأى بنفسه بعيدًا عن المظاهر والضوضاء، وأن يظـلّ مجهـول الذكر. كان دائمًـا يقول بإصرار: «**لا تصـوّروا عني فيلمًا، اذهبوا وصوّروا هؤلاء الإخوة الذين يقاتلون**».

فـي إحدى المرّات، عنـد تطهير محور «**بانـه – سردشـت**»، وأثناء وجـوده في محافظـة «**سردشت**» وجّـه أحد المصوّريـن كاميرته نحوه وأخـذ بضعـة مشاهد له. لكـن «**محمّـدا**» ذهب إليـه، وبمنتهى الأدب استعاد ذلك المقطع المتعلّق به ومزّقه. كان يُحطّم نفسه الأمّارة، وهو كان حاضرًا أن يؤدّي أيّة خدمة ويتحمّل أيّة مسؤولية من أجل الإسلام. بالنسبة إليه، كان تولّي القيادة أو ما دونها من المهام سيّان.

كان لـكلام «**محمّـد**» تأثيرٌ خاصّ؛ فالإخوة الذيـن أنهكهم ضغط العمل كانوا يستعيدون حيويّتهم بعد أن يتحدّثوا عدّة دقائق مع محمّد، ويتوجّهـون مجدّدًا إلـى عملهم، بقلوبٍ حارة ملؤهـا الأمل. أحيانًا كان بعضـ الإخوة يختلقون الأعذار لأجل أن يفـوزوا ببضع دقائق معه؛ علّه يفيض عليهم بما يحتاجونه من معنويّات.

كان محمّـد مظهر الإيمان والتوكّل علـى الله تعالى والاعتماد عليه. ففي إحـدى المرّات وخلال عمليّـات «**مطلع الفجـر**»، عندما تشرّفتُ بالخدمة في عداد قوّاته، وقعت حادثة نادرة:

عندما تقـرّر تحرير معبر» كورك»، تقدّمنا لمسافة كبيرة، لكنّنا لم نوفّق وللأسف بشكل كامل، لأنّ عددًا من الإخوة الذين كانوا يتحرّكون باتّجاه رأس أحد المرتفعات، وقعوا خلال تقدّمهم تحت مرمى النيران العراقيّة وتوقّفوا.

فـورًا، قام قائد المجموعة بإبلاغ «**محمّـد**» على الجهاز اللاسلكيّ، بأنّـه يلزمهم قـوّة مساندة. فأجابـه قائلًا: «**قاوموا، وستصـل القوّات سريعًـا لمساعدتكـم**». بالطبـع، تعجّبنا من موقفـه لأنّنا لم نكن نملك قوّة مساندة في (الميدان)، ولم ندرِ على أيّ أساس قال هذا الكلام.

بعـد مـدّة، جـرى الاتّصـال ثانيـةً، ومجـدّدًا قـال «**بروجـردي**» بطمأنينـة: «**قاومـوا وستصـل القوات**». فـي المرّة الثالثـة، استُشهد عامل اتّصـال مجموعتنا، وصرخ قائد تلـك المجموعة بعصبية: «**لمَ لا ترسلـون القـوة؟**»، فتعالى من الجهة الأخـرى صوت «**محمّد**» على جهـاز اللاسلكـيّ أن: «**قاومـوا، فتأتـي ملائكـة الله**». ثمّ هـزّ قلوبنا جميعًا بتلاوته لآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1].

لم يكن «**محمّد**» يتظاهر أبدًا بحبّه للشهادة، لكن عندما كان يسمع بخبـر شهـادة أحـد أصحابه أو أصدقائـه كانت حاله تتبـدّل ومزاجه يتغيّر، وترتسم على وجهه علامات تُظهِر بوضوح عشقه للشهادة.

مـن الذكريـات الجميلة التي لا زالـت إلى الآن باقيـة في ذهني هي

(1) سورة فصلت، الآية: 30.

تلـك الخاصّة بإعادة تحريـر محور «**بانه -سردشـت**». لم يبقَ على بدء العمليّـات سـوى بضـع ساعـات، وكنّا قد جلسنـا مع «**محمّـد**» في أحد الأمكنـة، بصحبة الأخ «**عياري**» - مسـؤول عمليّات الحرس في «**بانه**» - الـذي تحدّث بشوق عـن منامه ليلة أمس، حيـث رأى الأخ «**عيـاري**» أنّه سيستشهـد فـي عمليّـات اليوم. فما كان مـن «**محمّـد**» إلّا أن نهض من مكانـه بشكل مفاجئ وركض نحـوه، طالبًا منه بحماسـة وشوق لافتين، أن يُعيـد ذكر المنـام... تحقّقت الرؤيا وفي نفس ذلـك اليوم ذاق «**الأخ عياري**» شهدَ الشهادة العذب.

كان صبـر «**محمّد**» وتحمّله مثيرًا للعجب. كيف لا، ولم تكن البسمة لتُمحـى عن وجهـه، حتّى في المصائـب والمشكلات. ففـي اللحظات العصيبـة للبـلاد، وضغـوط الحرب التـي لا ترحم، وفـي الوقت الذي كانـت فيه مدننا تسقط، ويرتفع الشهداء القادة والأصدقاء، كان يقف بصمـودٍ وثباتٍ، وسط ضعـف الكثيرين وعجزهم عـن التحمّل، وكان يقول ببسمته المعهودة: «**هذه الشهادات طبيعيّة وضروريّة للثورة. لا ينبغي أن يضطرب الإنسان من هذه الأحداث**».

في جعبتي ذكريات كثيرة عـن روحيّة «**محمّد**»، عن الثقة بالنفس، والشجاعة.

تقـع في «**جوانرود**» منطقة تسمّى «**زلان**»، تمتدّ على مساحة ثلاثين كيلومتـرًا. كانت هـذه المنطقـة بالكامل تحـت سيطرة قـوات أعداء الثـورة، وكانـت عمدة هـذه القوّات تتشـكل من أفـرادٍ على خلاف مع

أبناء المنطقة. وقد أمدّهم العراق بالسلاح لمحاربة نظام الجمهوريّة الإسلاميّة.

في إحدى المـرّات، بعث أحدهم برسالة مفادهـا أنّهم حاضرون لينضمّوا إلى منظمّة «**الفدائيـون المسلمون**»، شرط أن يحضر أحد المسؤوليـن للتفاوض معهم. وصلـت الرسالة إلى «**محمّـد**»، فطوى بمنتهـى العزّة 30 كلم برفقـة عدد من الإخوة. ذهـب إلى قلب قرية تعجّ بقوّات معادية للثورة، وهو لا يحمل سوى مسدّس واحد. أدهشهم صدقـه وتواضعـه. كيف لا وهم يحملـون نظرة مناقضـة عن حرّاس الإسـلام وقادتهـم؟ أشعرهـم موقفه بالخجـل، فوضعـوا أسلحتهم أرضًا واستسلمـوا، والتحق أكثرهم بمنظمة «**الفدائيّـون المسلمون الأكراد**».

كان «**بروجـردي**» يمتلـك عقيدةً راسخة لا تتزلزل فيما يتعلّق بعالم الآخرة. وكان أمله كبيرًا جدًّا بفضل الله تعالى، وعونه. أذكر في إحدى المرّات أنّ نقاشًا فُتح في مقرّ عمليّات الجبهة الغربية، عن أحد محاور العمليّات، وما إذا كانت العمليّات ستنجز على ذلك المحور أم لا؟

انقضت ساعات من الليل وجميع العقول مشغولة بدراسة الخريطة، لكن دون الوصول إلى نتيجة. أَخَذَتْ «**محمّدا**»، وهو ينظر إلى الخريطة، إغفـاءة. وبعد فترة هبّ واقفًـا وأيقظ البقيّة، ثمّ قال بحزم: «**يجب أن تُنجز هذه العمليّات**».

سألـه الإخوة عن سبب هذا القـرار المفاجئ، لكنّه لـم يقل شيئًا.

وبالفعـل أُنجزت العمليّات بنجاحٍ كامـلٍ. وعندما بحثنا من جديد عن سبـب ذلـك القرار، أجـاب: «**الشخص الـذي كان يجـب أن يرشدني جاءني في المنام وقال: قوموا بهذه العمليّات**»!

لم يكن «**محمّد**» يترك صـلاة الليل مطلقًا. وكان يعطي لهذا الأمر أهميّة كبيرة.

فـي إحدى مراحل العمليّات التي كان مقـرّرًا أن تُنجز بالقرب من «**مهاباد**»، عُقدت جلسة بمشاركة عدد من المجاهدين وقادة المنطقة، ودار الحديـث في تلـك الجلسة حول تحديد المحور الـذي ستُشنّ منه الهجمات.

امتـدّ البحث حتّى الساعة الحادية عشـرة ليلًا، وكان كلّ واحد من الإخوة يعطي وجهة نظر، لكنّنا لم نصل في النهاية إلى نتيجة أيضًا.

توجّـه «**محمّد**» نحـو القبلة بحالة عرفانيّة ودعـا بخضوع: «**إلهي! أنت تعلم أنّنا عاجزون، وأنّ عقولنا قاصرة عن أن نقوم بأيّ فعلٍ دون عونـك، وأنّنـا منـذ البداية لم نكن من المدّعيـن. إلهي! امنحنا أنت روح الفرج!**».

جَمَـعَ الإخـوة الخريطـة، ولأنّ الوقت كان متأخرًا، نـام الجميع. عند الفجـر، استيقظنا على تلاوة القـرآن بصوت «**محمّـد**». صلّينا الصبح، وبعد ذلـك، طلب منّي «**محمّد**» أن أُحضر الخريطـة. وبينما كنتُ أناوله الخريطـة، سألـتُ: «**مـا الـذي حـدث؟**»، قال «**محمّـد**» بدمٍ بـاردٍ: «**جُل بنظـرك بدقّـة علـى الخريطـة وجِـدْ قريـة «قـره داغ»**. تجمّـع الإخـوة

وتساءلوا بدهشة: «**ما هي هذه القرية قره داغ؟ فكرّر طلبه**» جِدُوا «**قره داغ**» علـى الفور. مسحنـا الخريطة بأعيننـا، لكنّنا لم نجـد شيئًا. صلّى محمّد من جديد وتلا القرآن، ثمّ قال: «**اجلبوا الخريطة وابحثوا فيها**».

فعلنـا ما قاله، ووُفّقنا في النهاية إلـى أن نجد قرية «**قره داغ**». سُرّ «**محمّـد**» كثيـرًا. سألنـاه والدهشة تعترينـا: «**ما الأمـر أيّهـا الحاجّ؟ فأجاب مبتسمًا: «هذا هو حلّ القضيّة، قوموا لنذهب**».

صبيحـة ذلـك اليوم، عُقـدت جلسة في مقرّ حمزة (فـي أرومية)، بمشاركة ضبّاط من قيادة الجيش، وقائد الفرقة، وقائد المقرّ. وعندما أوضـح «**محمّد**» في تلك الجلسة جزئيات خطّته، اعتبرها القادة خطّةً ممتـازة وقبلهـا الجميع. وبعـد انتهاء الجلسـة، توجّهتُ أنـا وعدد من الإخـوة إليه، بدافع من الفضول، وسألناه كيف أعدّ هذه الخطّة، ونحن فكّرنا حتّى آخر الليل، ولم نستطع أن نصل إلى نتيجة.

أجـاب «**محمّـد**»: «**عندما نمنـا جميعًـا، استيقظتُ أنا بعـد ساعة، وتوسّلتُ وصلّيتُ ركعتين، وطلبتُ العون من الله. وبعد أن نمت ثانية، جاءنـي ضابـط في المنام وقـال: يا فلان لماذا تتوقّفـون عن العمل إلـى هـذا الحـدّ؟ اذهبوا واستولـوا على «قره داغ» وهنـاك (تجدون) حلّ قضيتكم..**»

بشعـره الأشقر الداكن، ولحيته الشهباء. كان «**محمّد**» معروفًا بين المجاهديـن باسم «**مسيح كردستـان**»، وإن كان بعضهـم يعتبرونه أبًا لكردستـان، فإنّه في الحقيقة، كان أبًا لغـرب البلاد كلّها. كيف لا وقد

بكت عند استشهاده جميع نواحي غرب البلاد وأقاليمها؟

لقد كانت إحدى الخصال البارزة لهذا العظيم مواساته للإخوة. فعلى الرغم من مشاغله الكثيرة كان يجلس لساعات مع المجاهدين، ويُصغي إلى مشاكلهم وهمومهم.

كثيرٌ من الأفراد كانوا يعقدون العزم على مغادرة منطقة كردستان، بسبب المشاكل الكثيرة فيها. لكنّهم كانوا يُبدّلون رأيهم تمامًا، ويُقرّرون البقاء في المنطقة، بعد أن يجلسوا إلى محمّد ويتحدّثوا معه.

في الأيّام الأخيرة التي اقترب فيها من الشهادة، كان «**محمّد**» يسعى بشتّى السبل؛ كي يختار مكانًا لاستقرار لواء الاستشهاديّين الخاصّ. وقد فزتُ بشرف خدمته في مسعاه هذا، برفقة أربعة إخوة آخرين.

في أحد الأيّام توجّهنا، للقيام بهذه المهمّة إلى مكان جرى استطلاعه من قبل، لاستقرار اللواء الخاصّ. خلال الطريق، جلس أحد الإخوة إلى جانب «**محمّد**» يحدّثه عن مشاكله، ومحمّد يشرح له عن يوم القيامة، وأجر الجهاد والشهادة، وتضحيات مسلمي صدر الإسلام إلى أن وصلنا إلى تقاطع طريق «**مهاباد- نقده**»، عندها قلنا له: «**حاجّ محمّد، انتظرنا هنا حتّى نذهب ونستطلع المكان**»، لكنّه لم يقبل.

اضطررنا للموافقة على طلبه مرافقتنا. وبعد إصرار منّي، استقرّ

الرأي على أن نصعد فـي سيّارة مجهّزة برشّاش دوشكا، يرافقنا أحد الإخوة، لنواكب سيّارته ونؤمّن حمايته طول الطريق.

تحرّكنـا فـي المقدّمة، واستقـلّ الأخ «**بروجردي**» سيّـارة عسكريّة (جيـب) وراءنا برفقة ثلاثة إخـوة. لم يمرّ الكثير من الوقت، ولم نكن قـد ابتعدنا عنهـم كثيرًا، عندمـا دوّى فجأة صوت انفجـارٍ رهيب من الخلـف. عبرت سيّارته فوق لغم، وقبل أن نصـل إليهم، كانوا قد نالوا أمنيتهم.

كان وجه «**محمّد**» الدامي لا زال مبتسمًا، وفي لحظةٍ مرّ في خاطري أنّه قال: «**فزتُ وربّ الكعبةً**».

والحمد لله ربّ العالمين

قد كتبت بشكل لا إراديّ على كتاب «قائدي» عندما قرأته، عبارات من الزيارة:

السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه...

لقد رأيت واقعًا أنّ الإنسان يشعر بالحقارة في مقابل هذه العظمة. وعندما رأيت هذه العظمة في هذا الكتاب، أحسست واقعًا بالضِّعَة في نفسي.

الإمام الخامنئي دام ظله

1014067

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

DBOUK 00961 3 336218